

المسحاة

مجلة

المجلد العشري

الجزء الثامن والتاسع والعاشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

﴿المجلد العشرون﴾

٣٢٩

﴿الجزء الثامن﴾

بؤن الحكمة من يشاء ومن يؤن الحكمة فقد
أوزن شيئا كثيرا وما يذكر الأولو الألبار

المعجم
١٣١٥

فيشر عادي الدين يستهون القول فينبون أجنة
أولئك الذين هدام الله أولئك هم أولو الألبار

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «متارا» كثار الطريق

٣٥ شعبان ١٣٣٦ — ١٨ الجوزاء (٣) ١٢٩٦ هـ ش ٩ مايو ١٩١٨

المتفرنجون والإصلاح الإسلامي

يكثر ذكر المتفرنجين في المنار وغيره، والتفرنج مشتق من اسم الأفرنج أو الفرنجة، وهذه الصيغة تبنى لمعان (منها) التكلف كتجد فلان وتجمع ونخشم ونجرع الشراب إذا تكلف الجلد والشجاعة والخشوع وشرب ما يكره و(منها) تحصيل الشيء بالتدريج كعلم الحساب. وكل من هذين المعنيين ظاهر في استعمال كلمة التفرنج وما يشتق منها فالمتفرنجون هم الذين يقلدون الأفرنج فيما يستحسنون من العادات وغيرها بالتكلف أولاً ثم يتوسعون في ذلك بالتدريج، حتى انتقل بعضهم من التقليد في شخصيات الأمم التي تقوى بها روابطها كالعادات في الأزياء، والأكل والشرب وآداب المجلس إلى ما هو من مقوماتها التي تبقى بقاءها وتبقى بفنائها كاللغة والدين والشرعية وأصول الآداب والروابط الاجتماعية المنزلية والقومية

وهؤلاء المتفرنجون فريقان (أحدهما) من كان تفرنجهم أثر التعليم العصري والتربية الأفرنجية التي حبيت اليهم ما لقنوه وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل أن يلقنوا ما لا متهم من ذلك و يتربوا عليه كما يجب فكانوا كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

(وثانيهما) من يتفرنجون تقليداً للفريق الأول من قومهم الحكام والأغنياء تقربا إليهم، وانتظاماً في سلوكهم، وتمتعاً بمثل زينتهم ولذتهم، فهم مقلدة المقلدين، بغير شبهة ولا دليل، إنما كان سبب فشوهذا التفرنج في المسلمين المدارس الأفرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية التي أنشئت لتقليد الأفرنج في تربيتهم وتعليمهم بغير بصيرة ولا علم بموضع الحاجة، على حين كان العلم بمقومات الأمة الإسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسي والاجتماعي، وما بقي منه أمسى مشوباً بما ليس منه من البدع والدخيل، وسأت طريقة تعليمه وأهملت فكرة التربية عليه بالتخلق والعمل، وقد قلت في المنار غيره مرة أتني لأعرف في الدنيا مدرسة تعلم فيها اللغة العربية التعليم الفطري الذي به تكون ملكة في السنة المتعلمين بحيث فهمون كلامها الفصيح في كل كتاب، ويقدر على الاتيان به محاوره وخطابه وكتابة

[المنار: ج ٨ م ٢٠] المقارنة بين ضعف المسلمين وارتقاء الافرنج ٣٤١

بغير تكلف، كما تعلم اللغات الافرنجية في بلاد أهلها، ولا على مقربة من ذلك كما تعلم في بلادنا، ولا أعرف مدرسة يعلم فيها الاسلام تعليماً يفهم به كتابه وسنته وما فيهما من العقائد والاحكام والحكم والآداب فهما صحيحاً يتمكن به المتعلمون من بيانها بالقول والكتابة، وأثبت قضاياها والدفاع عنه بالدليل والحجة، ولا مكاناً يترى فيه النشء على أخلاقه وآدابه العالية، وإنما المدارس الاسلامية التي تدرس فيها العربية والدين معاهد تعالج فيها كتب في فنون العربية والعلوم الشرعية مما صنف بعد ضعف العلم الاستقلالي أو موته قلما يوجد فيها من وضع الأئمة المجتهدين شي، ولكن يقرأ في بعضها قليل من كتب التفسير والحديث بقصد التبرك الذي لا يعقل معناه لا بقصد الاهتداء. وكل ما يقرأ من الكتب في مدارس البلاد العربية يفسر باللغة العامية، وفي مدارس البلاد الأعجمية (كالهند والفرس وترك) يترجم بلغاتها

. في أثناء هوي الأمة الاسلامية في هذه الهاوية من الجهل من عدة قرون كان الافرنج يصمدون في مراقبي العلم الاستقلالي والتربية الاجتماعية على علم ونظام، يبتدون فيه بسنن الله في خالق الانسان والا كوان، وقد جعلوا لكل علم وكل فن ولكل صناعة وعمل جماعات تعنى بتربيته واتقانه، حتى إن الجمعيات الدينية فيهم تملك ألوف الألوف من النقود الذهبية. ولكن كان جل ارتقاؤهم في العلوم والفنون المادية والمالية والحربية وطرق استعمار الممالك واستخدام الشعوب لمنافعهم، وأقله في الفضائل الدينية والادبية التي ترجح الحق على القوة، والمثل على الشهوة، حتى خاف عاقبة ذلك عليهم - كما يؤهم وعقلاؤهم، وقال أكبر وأشهر فيلسوف اجتماعي فيهم وهو هربرت سبنسر، لا كبر وأشهر حكميم فينا وهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده - ما معناه: ان ضعف الفضيلة وتغلب الافكار المادية على أوربة استدعتها (أي تدفعها بعنف) الى حرب محتاجة ليظهر أي أممها الأقوى فيسود العالم.

«إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى» وانه ليغني أن رآه قوي واستملى، وان مظاهر الغنى والقوة امرارة خداعة، فالفقراء يعظمون الاغنياء وان منعموهم رؤسهم، وهضموهم حتمهم، والضعفاء يخضعون الاقوياء وان أرهقوهم عسراء، واستذلوهم عذوانا وظلما، ولا ينزل بعض الشعوب على أرث من سلفهم الذين عبدوا الملوك واتخذوهم

آلهة وأرباباء، وإن زالت تلك الدعوى وعفت مظاهرها الباطلة، فيظهر أثر هذا الارث في كثير من أفرادها، وإن تبوءوا مقاعد الرياسة فيها، وأما ولوع الامم المغلوبة على أمرها بتقليد الغالبين في كل ما يسهل التقليد فيه من العادات وشؤون الحياة، فهو سنة من أظرف سنن الاجتماع، وقد بسط الكلام فيها حكيمنا ابن خلدون في مقدمته فهي لا تخفى على قراء العربية، الذين يعنون بالامور الاجتماعية، والتقليد في الامم كالنقاييد في الافراد هو توطئ النفس المقلد على ان يكون تابها للمقلد في بعض ثمرات اجتهاده، غير طامع في مساواته، فهو يستلزم تعظيمه له واحتقاره لنفسه وقومه.

ان المقلد لا ينفك مرتكبا في الضعف بخبط في ليل دجوجي قد يشبه أمر بعض المتفريجين بما يدعوا اليه المصلحون من الاعتبار بما أوتي الا فرج من العلوم والفنون وما اتقوا من الاعمال، والبحث في أسباب ذلك وطرقه والاستقلال في اقتباس ما تحتاج اليه أمتهم منه، تقوى به وتكون أمة عزيزة قوية مثل أمتهم، وإنما تقوى الأمة إذا حفظت على ما كانت به أمة كاللغة والآداب والعادات والشرائع التي تمتاز بها، وإذا كان بعض العادات باغلاضارا فيقيم زائله وتغيره بالحكمة والموعظة الحسنة، والتربية العملية النافذة، بشرط ان لا يشوب ذلك شيء من تحقير الأمة في أنفس أهلها، ولا ادلالها بشعارها باستعلاء غيرها عليها، وان لا نحمل على تقليد أجنبي عنها، وإنما تلقن الحكمة مع اقتناعها بفضاها ونفعها، بأنها يجب ان تكون أحق بها وأهلها، كما ورد في حديث أبي هريرة عند الترمذي «الحكمة ضالة المؤمن غيبت وجدها فهو أحق بها»، ومن المتفريجين من يدعي هذا الاصلاح، ويتوهم أنه صادق لانه لا يميز بين الاصلاح والافساد، ومنهم من يدعيه بمحض الكذب والرياء، (ومن الناس من يمجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله ما في قلبه وهو ألد الخصام) وإذا تولى سعى في الارض ليفسد ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد).

ان الفرق بين المتفريجين لمقدريين المصلح المستقل مما يخفى على غير العارفين بالحقائق، ومن هؤلاء العارفين لورد كرومر الذي كان عميد انكسار في مصر، فقد بين في كتابه مصر الحديثة من فضائح المتفريجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا، وإن كان لم يكتبه لاجلنا، ولا نحن عرفنا كيف نستفيد منه، وقد أشار الى

المناز: ج ٨ م ٣٠ [معتدلو المتفرنجين وغلائهم والشكوى منهم ٣٤٣]

مذهب المصالحين الاسلاميين فيما يستحدثون لقومهم من شؤون الحضارة بما قاله في أحد تقاريره عن مصر عند ذكر وفاة الاستاذ الامام ، وهو ان الشيخ وحزبه المعتدل بشرطون في ذلك المحافظة على أصول الاسلام ، خلافاً لمن لا يبالون في هذه السبيل بالدين ولا مآذونه من مقومات الامة التي نشأوا فيها . ولا يرجى من أجنبي غير مسلم أن يقول في كلمة استطرادية أكثر من هذا في بلد له السيطرة على حكومته ، وجل من اعتمد عليهم حكومته من رجالها هم المتفرنجون كما بين ذلك اللورد نفسه في كتابه (عباس الثاني)

المتفرنجون أصناف منهم المعتدلون والغلاة ، ومن الغلاة المارقون من الدين الذين يحاربون أصوله وقروءه ، وينفثون سموم الكفر والفسق في أهله ، والمارقون الذين لا يحبون أن يعرف حالهم ، فلا يتكلمون في أهل الدين ولا يحبون أن يتكلم هؤلاء فيهم ، اما لاعتقادهم ان فشو الكفر مفسدة تزيد أمنهم ضعفاً وفساداً ، واما لكرهتهم للخوض في أمثال هذه المسائل وما تجره من القيل والقال ، ومن المعتدلين الثابتون على عقيدتهم التي نشأوا عليها ، والذين لهم ضرب من الآراء الجديدة فيها ، وانما تفرنج هؤلاء في أبدانهم ، لا في عقولهم ووجدانهم ، ولا نحاول استقصاء ما يكون به التفرنج وأصناف أهله في أفراد بل نقول بالاجمال انه قسمان صوري ومعنوي ، ظاهري وباطني ، والمعنوي الباطني ، يستلزم الصوري الظاهري ، وأما هذا فلا يستلزم ذلك ولكنه يؤثر فيه بعض التأثير ، فكل منهما يمد الآخر في ذلك وفي غيره ويستمد منه ، لذلك ترى بين أصحاب كل قسم من التعارف والتآلف ما لا نجد بينهم وبين المخالفين اكل منهم ، فهو لذلك يسري في الامة سر يانا تدريجيا لا يشعر به الجمهور ، وانما يفتن له الافراد من المعارفين بشؤون الاجتماع المراقبين لسير الامم وتقلبها وما يطرأ عليهما من التغيير

أما ما يشعر به الجمهور ويتألم له من بعض شذوذ الغلاة من هؤلاء المتفرنجين وجهر بعضهم في انكار ما عليه الامة من العقائد أو العادات المحترمة فثله فيه كمثل العالمي الجاهل الذي يصاب بالداء الافرنجي ، يتألم لكل قرحة تمرض له من أثر الداء ويطلب لها الدواء ، ولكنه لا يعرف خطر الداء في عامة بدنه ، ولا فطنه في

٣٤٤ شكوى الجمهور من شذوذ المتفرجين وضرب مثل للفريتين [لنار: ج ٨ م ٢٠]

تسميم دمه ، ولا يطلب له العلاج في غير أوقات التألم من الاعراض الحادثة ، ولا يصبر على تناول الادوية التي يرجى أن تنقي دمه من ذلك السم في الزمن الطويل ترى هذا الجمهور الذي ضربنا له المثل يصبح ويشكو قولاً وكتابة عند كل صوت يجر بمخالفة دينه وآدابه وعاداته: فلان كفر ، فلان فجر ، وأما العالم بشؤون الاجتماع فهو كالعالم بالطب أو بحفظ الصحة كلاهما بهتم بالملل العاة وأسبابها والعلاج الذي يستأصلها لا بأعراضها الذي تظهر تارة وتخفى أخرى . وبألت الجمهور يتبع الطبيب الاجتماعي الذي يستصرخه عند كل صيحة تؤلمه من مهاجمة في عقائده أو غيرها من مقوماته الملية كما يتبع مريض البدن طبيب الابدان ، إذا سهل التوقي من خطر هؤلاء الذين تقطعت الأسباب وانفصمت العرى التي تربطهم بأمتهم ، وتعذر عليهم الاتصال بأمة أخرى يكونون أعضاء حية فيها ، فقد جمهورهم الشعور بالحياة القومية والملية ، فأسمى لاهتم الا بلدانه الشخصية ، ومنها أن يكون محترماً مكرماً بين من يعيش معهم ، فهو يدعوهم الى أن يكونوا مثله مدعياً أن ذلك خير لهم ، كما أنه يكون عوناً لكل ذي سلطان عليهم ، يساعده على كل ما يريد من منهم ، ومن دون هذا الجمهور أفراد يعز عليهم أن لا يكون لهم أمة ، فهم أشدة حاجتهم الى الأمة التي انفصلوا منها في الباطن يريدون أن يجذبوها اليهم ويجعلوها أمة أخرى بمقومات ومشخصات مذبذبة لاهي اسلامية صحيحة ، ولا هي أفرنجية خالصة ، ليكونوا أعضاء رئيسة لها في هذا الحاق الجديد المتخيل ، بعد أن صاروا فيها كالأعضاء الاثرية أو زوائد الاظفار والاشعار التي جرت العادة بقصها والقائها ، وهؤلاء الافراد الذين يفكرون في تكوين الامم قليلون ، ولكن الذين يلغطون بهذه الالفاظ كمبرون ، ولم يظهر في متفرجين فرد صالح لتكوين أسرة صالحة ، أو تأسيس جمعية نافعة ، فأين هم من أفناء أمة كبرة وعاداتها خلقاً جديداً ؟ لأنهم بضعف الأمة في أنفسهم ، وبمساعدة القوى الغريبة لهم عليها ، ليستطيعون شيئاً من الهدم دون البناء ، ومن الامانة دون الاحياء قلنا ان جمهور المسلمين يشكو ويتألم من كل صوت يسمعه من هؤلاء الذين يدعون ارادة اصلاحه واحيائه ، وأما يشكو من أعراض الداء لا من سمه وأسبابه ، ونقول أيضاً انه كلما سمع صوتاً منكراً من تلك الاصوات ، يفرغ الى من يثق بهم ،

من العلماء والكتاب : انصروا الرين ، ردوا على الملحدين ، ويقمنه كل ما يقال ويكتب بعنوان الرد ، وان كل من قبيح الطعن والسب وقد سمع في هذه الأيام صوت من هذه الأصوات ، ولا حلة الحرب وما انتظته من مرفوعة على المنيبوت ، كمال جهل الشكوى منه ، أضف ما عهد في نشأته ، ذلك صوت رجل من أعضاء النيابة ، أتى على جمهور عظيم من رجل انضمت له رابطة الخطابة ، ثم طبع في رسالة ، ووزع على الناس كافة ، موضوعه وضم قعدة اصلاح قانون الاحوال الشخصية الى تقرير اصول شريعة اسلامية ، وقد رغب في بعض فصوله في انشاء محكمة في مجرى ذلك مجرد اطلاعت عليه ، ولكن من كان في ذلك من كماله في شريعة الاسلام ولا نقول في شخص وضعه شيئا ، وان فرضت حق في نفسه ، ومن عرف الحق عرف أهله ، وموعدا الجزء لا آتي ان شاء الله تعالى

نقد ذكرى المولد النبوي

لصاحب الامضاء الرمزي

(الموضع الاول) في صفحة (هـ) من المقدمة حققتم ان عمل المواد بالشكل المعروف بدعة وانكم تتحامون عن عمل شيء باسم المولد فاحسبتم وأجدتم . ثم ذكرتم ان البكري دعكم فتوسلتم باجبة الدعوة الى تنفيذ فكرة استبدال الضار من الموالد بالنافع — فهل هذه الفكرة غيرت حكم هذه البدعة وأخرجتكم من المحدثين ؟ لا أظن ذلك بل لا أرى وضم المولد يليق بأمثالكم — القافين بالاصلاح ومحاربة البدع وخصوصا على الصورة التي طبع عليها مختوما كل فصل منه بالصلاة البتراء فلو اكتبتم بنشره في المنار مع الارشاد الى جعل تلاوته بصورة الخطابة اربعا كان أنسب ، وعن الصورة المألوفة أبعد

(الموضع الثاني) في أول الصفحة الرابعة من ذكرى المولد ذكرتم ما لفظه: كيف

(*) في الاصل صاحبة في كل موضع من الرسالة فابدلت في المطبعة بصيغة

(المجلد العشرون)

(٤٤)

(المنار: ج ٨)

كان اصطفاؤه الله تعالى لهذه الاصول من الامة العربية، الذي ثبت في صحيح مسلم وغيره من كتب السنة النبوية، وبماذا امتاز قوم خاتم الرسل الخ، العبارة في ذوق السقيم غير مستقيمة ولم يظهر لي صلاحية شيء مما بعدها للجواب عن «كيف كان» وجميعه جواب عن «وبماذا امتاز» فحذف السؤال الاول والاقتصار على الثاني لانه أظهر (الموضع الثالث) في الصفحة الخامسة قواكم: أيام كانت الامم مرهقة بالاثرة والاثانية والاثين من مثل الضرائب الخ لعل الاولى حذف لفظ والاثين او ابداله بلفظ وتأن ليصح المصنف أو ليكون أوضح

(الموضع الرابع) في الصفحة السابعة قواكم: أما اصطفاؤه الله المكنانة فيفسره الخ وقولكم: وأما حج العرب اليه فهو دليل الخ لعل الاولى: اصطفاؤه الله المكنانة يعلم مما كانت تحفظه العرب من اخباره الخ وحج العرب اليه دليل الخ بحذف لفظ أما ولفظ فهو

(الموضع الخامس) في الصفحة الثامنة ذكرتم بالمواشي تفسير الندوة بالشورى ونخصصوها بأجله الرأي بعد البشة للانتماء به صلى الله عليه وآله وسلم هكذا والمعروف ان الندوة محل الشورى مطلقا وان الذي بناء قصي وجعل بابها للكعبة كما حكاه في الصفحة ثمانية عن ابن اسحاق. وكذلك فسرتم اللواء براية قريش وانه كان يسمى القاب والمعروف ان القاب اسم راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في القاموس صفحة ١٠٧

(الموضع السادس) قولكم في الصفحة التاسعة «كان ذلك كله من ارتقاء قريش واستعداد العرب للإسلام» ولكن هذه القوى المضوية كلها وجهت لمعاداته عليه وآله أفضل الصلاة والسلام، لعل حذف هذه العبارة المشعة بغاية المهجو والموهمة ان جميع قريش وجهوا جميع قواهم لمقاومته أولى والبقى لان السياق في مدح قريش وشرح المزايا التي فضلوا واستعدوا بها للإصلاح الروحي والمدني ولان الواقع خلاف ذلك فليس كل قريش وجهوا قواهم لمعاداته صلى الله عليه وآله وسلم اذ منهم السابقون للإسلام مع اخفائه لمصلحة الذب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كابي طالب رضي الله عنه ومنهم السابقون له المتحملون لمشايق التعذيب كآل ياسر ومنهم

السابقون القائمون بنصرته صلى الله عليه وآله وسلم ونشر دعوته، والذب عن حوزته،
المؤثرون له صلى الله عليه وآله وسلم على أنفسهم، القائمون بمساعدته بكل مافي وسعهم،
كحيزة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم من أجلاء الصحابة الذين هجروا وطنهم
رغبة في صحبته وملازمة خدمته صلى الله عليه وآله وسلم بل منهم مع عدم اسلامه
في أول البعثة من تحمل مشاق الحصر مع بني هاشم في الشعب ايثارا لنهرته صلى
الله عليه وآله وسلم ومساعدته. على ان الاسلام ما انز ودخل في طور القوة والمنعة الا
بعد اسلام من تأخر منهم، فكانوا القائمين بنصرته ونشر دعوته صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم الباذلين أرواحهم في حماية بيضته في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد
وفاته، وسيدقون ان شاء الله كذلك الى قيام الساعة. وامل الحكمة في ذلك رفع التهمة
عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم. والله در العلامة الشيخ عبدالعزيز الزمزمي حيث
أشار في همزته اذلك فقال

خبرة الله من قریش وما أد	راك من هم مكانة وعلاء
نسب بالعلاء علا قترات	درر الافق تحتها حصبا
شرف شامخ الذرى وفخار	ثابت صـير الجبال هبا
أنزل الله في قریش لا يلاف	قریش فزادهم آلا
شرف الله قدرهم بنبي	خلقوا من نجاره شرفا
واصطفاهم لاجله واجتباهم	فقدوا سادة به نجبا
ذب عنهم صونا لهم ورعاهم	وحاهم ممن نوى الاسواء
أظهر الله فضلهم من قديم	بحديث في فضلهم عنه جاء
ثم لما جاء النبي اليهم	أبطأوا عنه لا قلى وجفاء
كيف يحفونه وقد اف الله	عليها ضباها والظبا
لكن الله وحده قد تولى	نصره حفلة به واعتنا
لو تولوه داخل الشك قوما	عابوا حزب نصره القربا
فقضى الله ما قضاه الى ان	شاد أركان دينه والبناء
دخلوا فيه مرعين فصاروا	فيه للناس قادة رؤسا

جعل لمصطفى الامامة فيهم . اذ رآهم لحدودها أكفأ
ورثوا الامر بعده فأقاموا . إيعوجاجا من المدا وانحما .
(الموضع السابم) في الصفحة العاشرة قولكم فجملة ما امتاز به آل الله صلى الله
عليه وآله وسلم الخ . لعل ثبوت بعد الآل عن لامور الحرية والرياسة لا يصح
قبل الاسلام ولا بعده . أما قبل الاسلام فلثقاته ما قدمتموه من أن التدوة
والهواء والسفارة والاعنة والقبه من المناصب المختصة بهم ، وكلها من الامور
الحرية ، ولثقاته أيضا ما قدمتموه من أن كثانة كان ماثبة اتعارف ، وأن
مالكا وقصبا ملكا العرب ، فهل الرياسة غير هذا ؟ وأما بعد الاسلام فلثقاته ما هو
معلوم من حملهم لألوية القتال وقيادة الجيوش لمحاربة لاعداء في بدر وأحد وخيبر
وحنين ، بل لم تدر ربحي الحرب في المعارك المشهورة لا على محور الآل ، فهم قلب
رحاها بلا جدال ، وهم اثابون معه صلى الله عليه وآله وسلم في المواضع التي فر فيها
الابطال . فهل الامور الحرية التي بعدوا عنها غير هذا ؟ والله در أبي سفيان ابن
الحارث بن عبد المطلب الهاشمي حيث يقول كما نقله في الاستيعاب

لقد علمت قريش غير فخر بأننا نحن أجودهم حصانا
وأكثرهم دروعا سابغات وأفضلهم اذا طعنوا سنانا
وأرفعهم لدى الضراء عنهم وأبينهم اذا نطقوا لسانا

وقولكم في الصفحة المذكورة واذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الاسلام الخ
تقلب الغير عليهم في الرياسة بعد الاسلام لا يستلزم عدم عنها وعدم استحقاقها ،
والا لنافي ما تواتر عن علي وابنيه الحسن والحسين من قيامهم بطلب الخلافة
واحتجاجهم على من قاومهم بالبراهين ومحاربتهم للطاغية معاوية وأذنيه ، وانضمام
الصحابة الا من شذ الى علي وابنيه عليهم السلام

ربما يقال ان الدليل على ذلك كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يولي
غيرهم ويتركهم فالجواب عن ذلك ان التولية منه صلى الله عليه وآله وسلم لاشخاص
كمرو بن العاص وعدم توليته لآخرين كابي بكر وعمر لا يمكن أن يكونا دايلا
على استحقاق الاول للخلافة وعدم استحقاق الآخرين لان ذلك من وقائم

الاحوال المطروقة باحتمال أن يكون كل من التولية وعدمها لمقاصد مهمة. فمن مقاصد التولية تأليف قلب المولى أو استجلاب ود عشيرته (ومنها) ازالة نفور الناس عنه لاستمذارهم له من حيث تلطخه بحمته عداوة النبي والمسلمين (ومنها) قصد ابعاده للسلامة من دسائسه (لو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) ومن مقاصد هدم التولية لاشخاص قيامهم بحراسة النبي والذب عن حوزته ومساعدته (ومنها) قيامهم بتلقي أحكام الشريعة ابلغوها للامة وخصوصاً آل بيته، فهم هالة طلعتهم، وثقات أمته، وهم العدول المصوم اتفاقهم، المشهود بأنهم والقرآن في قرْن الى قيام الساعة، رضوان الله عليهم أجمعين

وقولكم في آخر الصفحة فهو أنفى للشبهة عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم قد يقال انه لو كان فيما ذكر محل شبهة لكان لفضيلاتهم والامر بالصلاة عليهم وفرض مودتهم ومولائهم وفرض الخمس لهم أكبر شبهة وأعظم تهمة وايس الامر كذلك والله أعلم (الموضع الثامن) في الصفحة الثالثة عشرة ذكرتم بعض أولاد عبد المطلب والمقام يقتضي استيعابهم لان لاقتصار في محل البيان يوم الحصر وزيادة سطر لا تطول به القصة

(الموضع التاسع) في الصفحة الثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم لقي من قومه أشد البعور ولا يذأ الخ لعل الاولى: من زعماء قومه الذين أشقام الله فصدوه عن تبليغ دعوة ربه ومنهم عمه أبو لهب القاتل الخ لما قدمناه من قيام كثير من قومه بمساعدته واجابة دعوته

(الموضع العاشر) في الصفحة الحادية والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو الناس أن يحموه لقيام بهذا الامر فلم يحمه من قريش أحد الخ لعل الاولى: كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه ليقوم بهذا الامر فحال زعماء الشرك دون ذلك محاولة لاطفاء نور الله ويأبى الله الا أن يتم نوره فهدى الله للايمان به ستة نفر من أهل يثرب الخ لما تقدم أيضا

(الموضع الحادي عشر) في الصفحة السابعة والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم ثبت وحده في يوم أحد الخ والذي أذكره انه ثبت معه بضمة نفر من

قريش و بني هاشم وكذا في حنين وهذه منقبة لهم يحسن ذكرها اشعارا بمزايا الاصطفاء التي ذكرتموها

(الموضع الثاني عشر) في الصفحة الحادية والاربعين ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة بعد بدء التبليغ عشرين سنة والمشهور انها بضع عشرة سنة . ثم ذكرتم في الصفحة الثانية والاربعين حال الاسلام في تلك المدة وما لاقاه صلى الله عليه وآله وسلم مع السابقين من المؤمنين وصبرهم على الاضطهاد الخ ثم دخول الاسلام في عهد الحرية الخ ولم تذكروا دخوله في عهد القوة والمنعة بعد فتح مكة بدخول قريش واتباع العرب لهم مع ان ذلك هو مظهر مزايا الاصطفاء فلعل إلحاقها يكون في المستقبل ان شاء الله تعالى

(الموضع الثالث عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتم في الحواشي حديث الثقلين ثم قلتم : وفسر زيد أهل بيته بمن تحرم عليهم الصدقة الخ ثم قلتم ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام الخ وظاهر تقديمكم تفسير زيد والتعبير في مقابله بلفظ يقول آخرون بشعر باتخاذ ما قاله زيد رضي الله عنه . وامل الصواب ما يقوله الآخرون كما حققه شيخ مشايخنا العلامة مولانا السيد أبو بكر ابن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي في كتابه رشفة الصادي

ولعل ملخص ما حققه العلامة ابن شهاب ان المراد بأهل البيت في آية التطهير علي وفاطمة والحسن والحسين عند جمهور العلماء وأكابر أئمة الحديث المعتمد بروايتهم ودرايتهم وان الأدلة تضاهرت بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمصير الى تفسير من أنزات عليه الآية متعين

دهوا كل قول غير قول محمد فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم
فن ذلك ما أخرجه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحكم وصححه
وابن مردويه والبيهقي من طرق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت في بيتي نزات
(انما يريد الله اينذهب عنكم لر جس أهل البيت وبطهركم تطهيرا) وفي البيت فاطمة
وعلي والحسن والحسين فجلاهم بكاء ثم قال هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه

عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في يديها على منامة عليه كساء خيبري فحنت فطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادعي لي زوجك وابنيك حسنا وحيدا فينباهم يأكلون اذ نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انما يريد الله) لآية فأخذ النبي بفضلته كسائه فغشاهم ايها ثم أخرج يده من الكساء فألوى بها الى السماء ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قلما ثلاث مرات . قالت أم سلمة فأدخلت رأسي في الستر فقلت يا رسول وأنا معكم قل « انك لي خير » مرتين وذكر ابن كثير والسمهودي طرقا كثيرة لحديث أم سلمة هذا وأخرج الامام أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة ما يقاربه في المعنى . وكذلك روي عن وثلة ابن الاسقع ما يقاربه — الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على ان المراد بأهل البيت من ذكر . ولا التفات لمن خاف ذلك ، ولا يمنع هذا الحصر دخول أولاد من ذكر وذرياتهم الى آخر الابد في هذا المعنى المراد شمول لفظ أهل البيت لمن سيوجد منهم — كشمول لفظ لامة لمن سيوجد منها لاسيما والاحاديث مصرحة بذلك كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إني تارك فيكم ما ان تمسكنم ، لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي « الى أن قال « وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الخوض » وكقوله عليه وآله الصلاة والسلام « أهل بيتي أمان لأهل الارض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض » الى غير ذلك من الاحاديث والابحار الدالة قطعا على ان هذه السلسلة الطاهرة هم أهل البيت المطهرون وانهم المرادون بكل ماورد في فضل أهل البيت من الآيات والاحاديث وانهم عدول هذه الامة وانهم ان يفارقوا الكتاب الى يوم القيامة ، وانهم أحد الثقلين المؤمنون بالنسك بهماء وقد أجمعت الامة على ذلك اه باختصاره وبعد وجود النص بعدم ادخل أم سلمة بل وعائشة في رواية هل يمكن تفسيره بما يشمل آل العباس وخصوصا والحديث في الخوض على التمسك بأهل البيت فهل يعقل ان نحض على التمسك ببني العباس وسيرهم معلومة لدى العام والخاص

(الموضوع الرابع عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتم انهم (أي آل)

كانوا أحفظ الناس لهديه صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لا يخلو عصر من طائفة أو أفراد من الهداة المصلحين منهم وإن فتن الكثير منهم بغلاة المحبين الخ والمسل المناسب وإن فتن بعضهم واغتر بشرف نسبه وترك العلم والأعمال النافعة غافلاً عن قول جده علي الخ لأن إثبات الفتنة للأكرية ينافي آية التطهير كما لا يخفى . ثم ذكرتم في حديث الثقلين رواية عن أبي هريرة وأن فيها ابدال لفظ المرة بلفظ السنة، وأن لا معارضة بينها الخ يظهر للمأجز أن رواية الابدال المذكورة على حذف مضاف أي حملة سنتي فتكون مخصصة للرواية الاولى كما أن الاولى مخصصة لثانية فالمعنى حملة سنتي الذين هم من عترتي ، أو عترتي حملة سنتي ، وأيضاً يظهر أن المراد بالطائفة من أمته التي لا تزال ظاهرة على الحق قومة على أمر الله لي أن تقوم الساعة هم عترته الحاملون لسنة والله أعلم

من ملاكه سلخ جهدي الاولى سنة ١٣٣٦

ن . ه . د

رحلة الحجاز

٩

النفر من منى الى مكة

لما كان يوم النفر رمينا الجمرات لآخر مرة وفي لاصيل شددنا لرحال ونفرتنا من منى هابطين الى مكة المكرمة حامدين لله شاكرين له ما وفقنا لانعام مناسكتنا ، راجين من فضله وإحسانه أن يكون حجاً مبروراً ، وسعيماً مشكوراً ، وعلماً مثباً ، ودعائناً مستجاباً ، وبالله ما أحلى الشعور الذي يسترلي على المرء في ثناء هذا النفر ، فانه على فراقه لتلك المعهد القدسي الذي وصفنا في الفصل السابق ماله في النفس من عظيم الانس تراه يفرقه قرير العين مطمئن القلب جم السرور فرحاً بفضل الله ورحمته ، وذلك شأن الانسان بعد إتمام كل عمل من الأعمال النافعة التي بهم بأمرها ، يفرح في عاقبة إتمامه بقدر ما كان من عناية به وتعبه فيه ، وبقدر مكانة العمل نفسه من نفسه ، وما يرجو من فائدته ونفعه ، سواء كان ذلك في دنياه أو دينه ، فمن لم

يأل جهدا في أداء المناك أفاض من منى وهو بحيث وصفنا من النبطة الروحية ،
والسكينة والطمأنينة ، التي يعبر عنهم بعض الناس براحة الضمير ، ومن قصر في شيء
من تلك الأعمال ولو بترك العزيمة ولا فضل خالط غبطته وطمأنينته بعض التمتي ولوم
النفس : لبني فطمت كذا ، وسأفعل كذا في حج آخر إن شاء الله تعالى . كما تمنى
بعض رفاقنا لو باتوا الليل كله في المزدلفة معي

المقام بمكة بعد الحج

قد كنت أرجأت أمورا مما أنوي عمله في مكة الى ما بعد الحج (منها) ما أشرت
اليه قبل من زيارة جميع القديين تفضلوا بزيارتي ولم تيسر لي زيارتهم قبل الحج (ومنها) زيارة
كثير من المعاهد التاريخية والآثار النبوية في مكة وضواحيها اذ لم أشأ أن أخلط ذلك بأعمال
النفس كما يفعل بعض العوام الذين يعدون بعض ذلك من أعمال النفس أو من الاعمال
المطلوبة شرعا ولو اغبر النفس ، ولا يطلب شيء من ذلك شرعا ، لا وجوبا ولا ندبا ، الا
من كانت له نية صالحة في شيء من ذلك وجاء به على وجه يعرفه الشرع ولا ينكره .
(ومنها) شراء أشياء كثيرة مما يباع في مكة بعضها لانفسنا وبعضها لاجل اهدائه
لاصدقاءنا (ومنها) وهو أهمها شرح ما عندنا من الحقائق في الحالة السياسية الحاضرة
لمن يجب شرحها له بعد ان كنا فتحنا أبواب بعض مسائلها فكان الحديث في أكثرها
اجاليا ولا يعني فيها الا البيان والتفصيل

لم نلبث أن بدا لنا ما لم نكن نحسب وقاجانا ركب المحمل المصري بسفره
يوم الخميس ١٤ ذي الحجة من مكة المكرمة الى جدة ، وعلينا انه قرر ركوب البحر
في ثاني يوم وصوله اليها ، ولو سافرنا معه لما أمكننا أن ندرك شيئا مما نريد من مكة ،
ففرمنا على التخلف عنه يوما واحدا وهو مقهى ما نملك من التأخير ، وما ذا عسى
يعني عنا اليوم الواحد مما كنا تقدر له أسبوعا كاملا لا نستكثره عليه ؟ على اننا
أدركنا في ذلك اليوم بتوفيق الله تعالى وعناية المحيين ما لا يدرك الا في أيام ، فابتعنا
بعض ما نحب من الحلي والحلل من منسوجات الهند الموضونة وغير الموضونة وبعض
منسوجات الشام وبلاد الترك والصين وغير ذلك مما يشتري مثله الحجاج عادة
وكان الفضل في شراء ذلك في وقت قصير مع أمن غبن التجار لنا فيه لصديقنا الشيخ

حسين بإسلامه وهو من أشهر أدياء مكة ونجارها ، وقد تركنا ما كنا نبغي من الزيارات بأنواعها ، ولكن الله تعالى من علينا بما هو خير منها كلها ، وهو التقشف بدخول بيته العتيق المعظم والصلاة والدعاء فيه

دخول الكعبة المعظمة

دخلت المسجد الحرام في وقت الضحى من يوم الجمعة (١٥ ذي الحجة) فوجدت باب البيت العتيق المعظم مفتوحا وفيه بعض شبان آل الشيبى الكرام فرأيت الفرصة سانحة للتشرف بالدخول فيه والوقت هادئ لا يكدر صفوه احتفال ولا ازدحام ، وكان يرافقي الشيخ حسين بإسلامه فبلغ من هنالك من الشيبين رغبي فقابلوها بالقبول والارتياح ، فتوضأت من بئر زمزم وأدلى الشيبون لي السلم ، فصعدت فدخلت متذكرا دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممثلاً حاله في ذلك اليوم العظيم يوم الفتح ، ففاجأني من الهيبة والخشوع والبكاء ما لم يسبق له نظير ، ووقفت زمنا لا أستطيع فيه الأحرام بالصلاة ولا النطق بالتكبير ، وقد ذكر لي رفيقي بإسلامه في هذه الحال المكان الذي صلى فيه صفوة الله من خلقه وعينه بالإشارة على حسب ما بينه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري فصلت فيه ركعتين هما أرجى ما أحسنه عند الله تعالى من التطوع ، ثم صليت في كل جهة من الجهات الثلاث الأخرى ركعتين

ودخول الكعبة ليس من مناسك الحج خلافا لما حكاه القرطبي عن بعض العلماء ، واختلفت الرواية في دخول النبي (ص) البيت وصلاته فيه . والتحقيق الذي جزم به بين الروايات الصحيحة المتعارضة أنه دخله في عام الفتح لافي حجه ولا في عمرته ، وأنه صلى فيه ركعتين بين العمودين المقدمين جاعلا الباب وراءه وبينه وبين الجدار الذي صلى إليه ثلاثة أذرع بذراع الآدمي تقريبا لا نحو يدا ، وليس من السنة تتبع المواضع التي صلى فيها النبي (ص) للصلاة فيها ، ولا مواقفه في النسك كما تقدم في الكلام على موقفه في عرفات ، وكذا سائر عباداته ، ولم يرو عن أحد من علماء الصحابة أنه فعل شيئا من ذلك إلا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) فهو فعل غير مشروع وغير ممنوع ، إلا أن يؤتى به على وجه يكون به بدعة وهو جملة كالمشروع بالتزامه أو

[المنار : ج ٨ م ٢٠] وداعنا للأمير ، وثناؤه على الفقير ٣٥٥

بالاجتماع عليه كاشمائر، فاذا خلا من شبهة البدعة كان كبير الفائدة لذي اللب ، لا فيه من حسن الذكر الذي يخشع له القلب، واعلمه لم يشرع لئلا يترتب عليه المخرج الشديد بالتواضع وتعمد فعله على العدد الكثير كما لو أراد كل حاج أن يقف حيث وقف (ص) ولسد ذريعة الشرك اذ يخشى على ضعيف العلم بالدين أن يغلو فيه فيجعل للرسول شركة في العبادة التي يتبع آثاره فيها (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وانما ذلك بتوجيه الوجه واسلامه اليه وحده في العبادة ﴿ وداع الامير وصفاته ﴾

علمت ان أمثل الاوقات لوداع الامير ما بعد صلاة الجمعة فقصدت عقب الصلاة حجرته التي يصلي فيها وهي في جدار الحرم الجنوبي فألقيته جالساً في القسم الخارجي من الحجرة وفي حضرته بعض الكبراء وفي مقدمتهم رئيس الوكلاء والشيخ محمد صالح الشبيبي الكبير رئيس مجلس الشيوخ، وكان معي السيد عبدالله الزواوي وكيل المجلس، وعلمنا انه كان في القسم الداخلي حيث صلوا الجمعة بحمد الشريف عبدالله وكيل الخارجية مع بعض الناس. فلما دخلت على الامير تلقاني بالحفاوة والاكرام، فاستلمت يده لتقبيلها فحاول تواضعه التمتع من ذلك ، ولما جلسنا تفضل بكلمات من المجاملة كادت تذيبني خجلاً ، ونكتفي من كلامه بما دون الاطراء الذي تقتضي الحال حذفه وهو قوله موجهاً الخطاب للحاضرين : هذا فلان ... صاحب المنار كلكم تعرفونه وتعرفون ماله من الغيرة والاخلاص والجهاد في خدمة الاسلام .. وهو قد جاءنا في هذا العام حاجاً .. وكنا نتمنى أن يبقى عندنا ولكنه صاحب عمل كبير في مصر وهو قد رأى وعرف كل شي . عندنا وظهر له اننا الى الآن لم نقف امام عتبة عمل من الاعمال (وكان ذكر في سياق حديثه ما ينوي من ضروب الاصلاح العلمي والعملي) التي لا بد لنا منها ، وأن همنا محصور في اخراج المتقلبة من بلادنا ولا يتم ذلك الا بفتح المدينة المنورة ففى نم لنا ذلك وأردنا البدء بالاصلاح الذي نبغيه فاننا نرجو من غيرته أن لا نمنعه أعماله في مصر من اجابتنا الى ما نطلبه من معاونته وارشاده ، وهو الآن يقدر أن يخدم حركتنا في مصر أكثر مما يخدمها هنا لو أقام بيننا

فلما أتم كلامه شكرت له ما أراه مبالغة في حسن الظن والمجاملة ، وذكرت ان

هذا التواضع عن كمال الرفعة قد أخرجني حتى عقد لساني ولم يبق لي الا أن أقول
إنني أعد نفسي كجندي صغير مستعد في كل آن لخدمة دينه وأمه بالاخلاص ،
وأعاهدكم امام بيت الله تعالى على انني لا أدعى الى عمل أستطيعه في خدمتهما الا
وأبذل فيه كل جهدي مادمت معتقدا أنه حق ، وانه لا يثنيني عن ذلك منغمة شخصية
ولا أهل ولا ولد، فأنني نشأت على العمل بما يوجهه علي اعتقادي ويطمئن اليه قلبي .
ثم قمنا وتقدمت لوداعه ، ومحاولة تقبيل يده فأخذ بيدي وتوجه بي الى بيت الله عز وجل من
حيث يرى من نافذة المكان وقال : أسأل رب هذا البيت ان يجمعنا ولا يجعل هذا
آخر المهد بيننا . ثم ودعت الحاضرين وانصرف حامدا شاكرا
صفات الأمير وشماله

قد آن أن أذكر في هذه الرحلة بعض ما علمته واستنبطته من صفات هذا
الأمير الجليل ومزياه التي يوافق ذكرها مقتضى الحال فأقول : انه حوى جل أخلاق ملوك
الشرق وأمرائه العظام ، وانفرد بصفات ورثها من أجداده الشرفاء ، فن ذلك قرى
الضيوف واجازة الوفود ، وعزة النفس والثقة بها والاعتماد عليها ، والثبات والاصرار على
ما يأخذ به ويجري عليه فقد ترازل الجبال دونه ولا يترازل ، وشدة الحذر ، وسوء الظن
الذي عد من أركى الفطن ، حتى كان نصب عينيه قول الشاعر

وأما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل -

ولذلك تراه ينظر في كل شيء من شؤونه الخاصة ، وشؤون البلاد العامة ، حتى
أمور المنزل وشؤون الضيوف والوفود ونفقاتهم ، ومصالح البدو وصلاحهم ، وقد
أعطاه الله تعالى قوة غريبة فهو يشتغل بالنظر في ذلك كله عامة النهار ولا يشكو مللا
ولا تعباً ، وقد كلمته في مسألة الاشتغال بالجزئيات ووجوب نوطها ببعض العمال ،
وجعل وقته الثمين خاصا بالمصالح العامة والامور الكلية ، ووضع نظام لذلك ، فقال
ان هذا ضروري لامندوحة عنه ونحن لا نزال نجري على نظامنا القديم ، والتحول عنه الى
غيره لا يتأتى الا في زمن غير قصير ، قلت نعم وأما الغرض وضع النظام له والبدء فيه
ومن أخلاقه وشماله توخي التواضع في القول والفعل ، مع المحافظة على الوقار
وأبهة الملك ، والادب العالي في مخاطبة الجليس ومجاملته ، مع الإشارة الى ما تقتضي

الحال من معارضته ، وهو على آدابه وتواضعه شديد الوطأة على المهجرين والمخالفين السياسيين ، يأخذهم بأشد العقاب الذي يهرب كل من تحدته نفسه بأن يعمل على شاكلتهم ، لا يخاف في ذلك لومة لائم ، (ومنها) العفة والزهادة فهو مقتصد في مئتمه بالطيبات ، عزوف النفس عن الانهماك في الشهوات ، (ومنها) الشجاعة والاقدام على مكافحة الاخطار ، لا يخاف الموت على نفسه ولا على ولده ، ولذلك جعل أنجاله الاربعة قوادا لجيوشه ، يكافحون المهالك بأيديهم ، ويناطحون الموت بنواصيهم ، وهو يحب وطنه (الحجاز) حبا عظيما ، ويكرم الحفاة المرأة من أعرابه تكريما ، وطالما نوهنا بما علمنا من براعته في سياستهم وحفظ الامن بينهم ، وقد رأينا يقضي في مقابلاتهم عدة ساعات من كل نهار ، وهم يدمرون عليه بما اعتادوا من الحرية والاستقلال أما معارفه وآراؤه في السياسة والامور الاجتماعية فليس الخوض فيها من مقتضى الحال في هذا الوقت ، ولم يكن يسهل العلم بتفصيلها من المذكرات القليلة التي دارت بيني وبينه وان كنت كلمته فيها بحرية واستقلال قلما يكلمه بمثلها أحد ، لانه قليل الكلام لا يطيل المراجعة والحوار في المسائل ليعلم كنه غوره فيها ، ولكن الزمان سيبين كنه ذلك كله بما يظهر من تصرفه في شؤونها . وقد وقفت منه على آراء سيكون لها أعظم شأن في سياسته (منها) يأسه من الدولة العثمانية ولولا هذا اليأس لما أقدم على ما أقدم عليه ، كما أشرت الى ذلك في خطبتي السياسية بمنى بين يديه ، ثم انه كلمني في هذا الموضوع بعد النزول من منى ، وعده من الامور التي عبرت فيها بالخطبة عن رأيه قبل الوقوف عليه (ومنها) انه له ثقة بالدولة البريطانية وتقدير لقوتها وعظمتها لا حد لها ، ولا سلطان لشيء عليها ، (ومنها) ان ما شاهده من التطور والتحول في سياسة الدولة العثمانية وافضاء ذلك الى جعلها كالكرة في أيدي جمعية الاتحاد والترقي قد ضاعف ما في فطرته وتربيته من كراهة الآراء والافكار التي نشأ عنها ذلك الفساد ، وشدة الحذر من أصحاب أمثال هذه الآراء والافكار ، وقد ذكرت في هذه الرحلة ما كان أعجبنى ووافق رأيي من خطته السياسية التي أفصح عنها في منشوراته ، وأشرت الى ما طرأ بعد ذلك من التحول فيها فلا أعجبه ، وإنما أقول انه جاء موافقا لما ذكرت هنا من آرائه الراسخة فظهر ان التجارب لا تزيدها الا رسوخا وثباتا

وانني أختم الكلام بتكرار الشكر والثناء على حسن ضيافته لي وإكرامه إياي، فقد غمرني بكرمه وجوده، وكان من دقة لطفه وكمال ذوقه في ذلك أن جملة بطريقة لا مجال للاعتذار عن قبول شيء منه، وقد كنت قلت أول مقدمي لبعض المقربين منه كلاماً عن عادي التي شمرحتها في المنار عند رحلي إلى الهند، وهي أنني لا أقبل أن تشاب خدمتي للعلم والملة والامة بشيء من شوائب المنافع الشخصية، حتى أنني كنت أعلن في تلك الرحلة أنني لا أقبل الهدية.. ورجوت أن يتلطف في تبليغ ذلك وإن أدري أفعّل أم لا، ولكنني بعد شد الرحال وعند إرادة الركوب وصلت إلي جائزة منية، أوهدية هاشمية، أردت أن أكلم من جاء بها في شأنها فقال هكذا أمرت وأنا لا أعلم شيئاً إلا أنني عبت مأموراً أمري سيدنا فنفذت أمره، وانصرف، فمجبت من هذا اللطف الدقيق، والذوق السليم،

طواف الوداع وتوديع الاخوان

في أثناء اشتغال وكيل الخرج وأهوانه بشد الرحال، طفت أنا ومن معي الآكل والصحب طواف الوداع، وكان ذلك بعد العصر، وكنا قصدنا أن نركب في ذلك الوقت، ولكن لم يفسر لنا الركوب إلا بعد قرب غروب الشمس، وودعنا قبل الخروج كثير من الاخوان والمحبين، وركبنا وركب معنا بعض الاصدقاء مشبعين، وفي مقدمتهم السيد الزاوي الكبير ونجله السيد عبد الرحمن والشيخ حسين بإسلامه ومطوفنا ونجله، وخرج معهم الاخ الرفيق الشيخ خالد، أما معانر الرفاق والاهل فقد ركبوا في الشقائف من أول الامر، وأما أنا فركبت البغلة التي أرسلت إلي من الاصطبل الهاشمي مع اثنين حجاب الامير مشياً أمامي بملايسهما الرسمية، حتى اذا ما خرجنا من مكة المكرمة وبلغنا المكان المعروف بقهوة المعلم - وقد ذكرناه في الكلام على دخولنا مكة حرسها الله تعالى - ألفينا هنالك صاحب السيادة الشريف شرف حاكم مكة (القائم مقام الامير فيها) بالانتظار مع بعض رجاله وقد أنفذ للتوديع من قبل الخضره الهاشمية نائباً عنها، وعلمنا انه خرج منذ وقت العصر لانه هو الوقت الذي عين لخروجنا ولم يفسر لنا الخروج فيه، ففزلنا وجلسنا معه قليلاً واعتذرنا له عن تأخيرنا وشكرنا له هذا الانتظار الطويل،

[المنار: ج ٢٠٨] ذيل لمباحث الحج في الصدقات وفقراء الحرم ٣٥٩

ثم صلينا المغرب مع المودعين جماعة وأتبعها أنا والرفيقان بالمشاء مجموعة معاً جمع تقديم ، ثم ودعنا السادة المشيعين ، وركبنا الرواحل وسرنا باسم الله قافلين ، والحمد لله رب العالمين

ذيل لمباحث الحج في الصدقات وفقراء الحرم

اتني عند توديع السيد الزاوي قلت له قد بقي معي في الكيس خمسة عشر جنياً انكليزيا من التقود المخصصة للصدقة في الحرم لم ييسر لي اتفاقاً فانا أوكلك في في توزيعها على المستحقين ، من أهل الصلاح والمروءة المتحقيقين ، وأعطيته إياها فأرسل الي بعد عودتي الى مصر ورقة فيها أسماء من صرفها لهم ، ومقدار ما أعطى كلا منهم ، وعليها أختامهم . وبهذه المناسبة أقول كلمة في فقراء الحرم والصدقة فيه وفي غيره وما يتعلق بذلك كبحت السؤال

ان الفقراء المتسولين أول من يستقبل الحجاج قبل دخول مكة وآخر من يشيعهم عند الخروج منها عائدين الى بلادهم ، وكذلك شأنهم عند الخروج من مكة الى منى فمرقات وعند العودة من منى بعد انقضاء أيامها . وأكثرو هؤلاء المتسولين من صفار الصبيان والبنات ، يقل فيهم المراهقون والمراهقات ، فتراهم يحيطون بالحجاج من كل جانب ، رافعين أيديهم الى مقدم الموائد ، وألسنتهم تكرر الادعية المناسبة للاوقات ، فيذكرون في ادعيتهم قبل دخول مكة وعند الخروج الى عرفة أداء الحج وقبوله والعودة بالسلامة ، وبعد الحج زيارة النبي (ص) والوقوف بشباك حجرته الطاهرة ، ومنهم من يربط كوزاً من الزنك ونحوه بطرف خشبة كالمصا ويرفعها حتى تكون بين يدي الراكب فيكون ما يوضع في كل كوز خالصاً لحامله ، وأما الصغار الذين لا يحملون هذه الكيزان فما يرضخ لهم يرمى على الارض فيستبقون لالتقاطه فيكون حظ النشيط القوي منهم أضعاف حظ الخامل والضعيف ،

السؤال محرم في الاسلام لا تبيحه الا الحاجة الشديدة أو الضرورة التي تبيح كثيراً من المحظورات كالكل الميتة ولحم الخنزير ، لانه ذل يدعو اليه الكسل وحب البطالة والالتكال على أوساخ الناس ، والضرورات عوارض تعرض لبعض الناس أحياناً وهي تقدر بقدرها شرعاً ، وليس من شأنها أن تكون ملازمة للكثيرين من

الاصحاء القادرين على الكسب بحيث تبيح لهم أن يجعلوا السؤال حرفة يكون عليها مدار رزقهم، كما هو شأن أكثر السائلين في كل البلاد، بل يكون بعض هؤلاء غنيا شرعا تجب عليه الزكاة، وقد يتأهل السائمة والمقار، وإذا كان السؤال لغير ضرورة معصية محرمة وكانت الاعانة على المعصية معصية فعلى المسلم العارف باحكام الاسلام أن لا يرضخ بشيء لمن يعلم من حاله أنه قد اتخذ السؤال حرفة له، ولا لمن يعلم أيضا أنه غير مضطر الى ما يسأله، بأن كان يمكنه أن يستغني عنه، والمجهول حاله في ذلك موضع تردد ونظر، وأما من يعلم الانسان أو يظن من حاله أنه يسأل عن ضرورة ولاغنى له عما يسأله ولا وصول له اليه بغير السؤال فلأمندوحة للواجد عن مواساته والرضوخ له من مال الله تعالى، وقد يصل ذلك الى درجة الوجوب، كأن تعلم أن فلانا مضطر ولا يعلم بحاله أحد يرجى أن يزيل اضطرابه سواك وأنت قادر على ذلك، ومثل هذه الصورة تقع للأفراد القليلين وقلما تقع للكثير من الناس الا في أزمنة المجاعات العامة

انني قلما أعطي أحدا من السائلين الكثيرين في الشوارع بمصر، ولما رأيت هؤلاء السائلين خارج مكة عند قدومي اليها - وأنا لم أنس ما كان بلغنا ونحن في مصر من خبر العسرة والضيق في الحجاز وما سمعته مؤكدا لذلك في جدة - وجدتني متدفعا لاعطاء كل من سألتني، ولما نفذ ما كان في كيسي من الدراهم المعدة لنفقة الطريق من جدة الى مكة أذنت الرفيق الذي صحبني من جدة بأن يعطيني من يعلم أنه لم يأخذ مني وبمحضي ما ينفقه لارده له بعد الاجتماع بالآل الذين كانوا يحملون نفقتنا في رحالهم. وكنت أردت أن أجري على هذه الطريقة مع السائلين في الحرم الشريف، ثم صدني عن ذلك أنهم صاروا يجتمعون علي بكثرة عند الدخول ويحيطون بي بحيث يتعذر توزيع ما في اليد أو الجيب عليهم فكفنت أنثره على بعد فتركوني ويتهاقون، عليه ثم تركت ذلك لما فيه من المشقة والشهرة ورأيت الراحة في الاخفاء. ولكن رفيقي محمد نجيب أفندي ظل يتحمل التعب والعناء في توزيع الصدقة هلى هؤلاء المتسولين في داخل الحرم وخارجه وله صبر طويل على ذلك. ومن غريب ما رأينا من دلائل البؤس والجوع في الفقراء الملازمين للحرم ان بعض

الناس جاء بشي من الحبوب لحمام الحرم فاخطفوه وصار بعض السودانين من الدكرور يأخذون منه ويضعونه في أفواههم ويمضغونه متغذين به كاللدواب . وقد جرينا نحن على عادة الناس بالرضخ بالقليل للواحد من هؤلاء المتسولين بحيث كان صرف الجنيه الواحد يوزع على المئمة أو المئات منهم ، وأما تطيب النفس بما هو أكثر من ذلك للذين يتعرضون ولا يسألون ، والذين اذا سألوا يتجملون ولا يلحفون ، وأما ذكرنا هذا البحث وما وقع لنا من التجربة فيه ليستفيد منه غير العالم بما ذكرنا من الأحكام ، وغير الواقف على ما وقفنا عليه من التجارب ، ونسأل الله أن لا يجعل فيه شيئا من الرياء وشهوة الشهرة ، على أن صدقتا مما ينبغي أن يستحيا من ذكره ، فهي والحق يقال دون ما أنعم الله به علينا ، وما من أحد يحج إيماننا واحتسابا الا ويتصدق في الحج بحسب سمته لان الاعمال الصالحة يضاعف أجرها في ذلك الزمان وذلك المكان ، ومنهم من ينفقون هنالك فوق جميع ما علك من المال ، ولكن المتصدق العالم الخالص يمجده عنا عظميا في تحري المستحقين الصادقين ، من أهل الايمان واليقين ، والصلاح في الدين ، يمجده هذا العناء في وطنه الذي يقيم فيه ، فكيف حاله في بلد يجهل حال أهليه ، وقد كثر الكفر والابتداع في الارض ، وظهر الفساد في البر والبحر ؟ وليس هذا محل شرح هذه المسألة بالاسباب ، وقد ألمنا بها من قبل في المنار

القفول من مكة الى جدة

اننا لما ودعنا المشيعين الكرام وامطينا الرواحل اخترت ان يكون محمد أفندي هو صاحب الجانب لي ، وان يركب وكيل الخرج مع الاستاذ الشيخ خالد ، وكان المناسب أن يركب الاستاذ معي لما بيننا من التعادل والتوازن في الجسم ، وطول الصحبة مع التوافق في الترية والرأي ، فاننا نمارفنا من أوائل المهد بمقدمي الى مصر ، ولا أزال أهدي اليه المنار من ذلك المهد الى اليوم ، ولا أرى منه الا الوفاق والثناء والشكر ، وإنما اخترت التفرق في الرواحل لثلاثة أسباب ترجع ما ذكرت من الجامعتين الجسمية والروحية بيننا (أحدها) ان في تفرقنا هدلا بين الراحلتين في التخفيف عليهما ، لان تماثلنا في الجسامة ، يقابله تعادل صاحبينا في النعافة ؛ (ثانيها) ان كلا منا يحتاج الى خدمة رفيقه في الرحلة ، ومحمد أفندي يرغب في

(المنار : ج ٨) (٤٦) (المجلد العشرون)

خدمتي لاني استاذ في الدين ، فلا يبقى للخدمة الاستاذ الا وكيل الخرج (ثالثها)
ان صاحبي أجدر بالاستفادة مني لانه اعتاد منذ كان تلميذا الرجوع الي في أمور دينه ،
فصرت للمي بشؤونه أقدر على افادته وإفتائه في أمره ، وصاحب الاستاذ أجدر
بالاستفادة منه لانه ما قى مشغلا بوعظ العوام وارشادهم ، وقد حبل بيني وبين
ذلك في مصر فلم يقع لي فيها الا مرارا قليلة في السنين الاولى من هجرتي ، وأما
في هذه السنين الاخيرة فلم يأخذ عني فيها الا بعض المدرسين وأذكياء طلاب
العلم ، وكان من لوازم هذه القسمة بيني وبين صديقي اني كنت أحسن حفظا
منه إذ كان صاحبي من الاتقياء المتعلمين في مدارس الحكومة حتى العالبة فيها ،
العارفين بأخلاق الناس وشؤونهم بطول اختباره وتجاربهم في خدمة الحكومة المصرية ،
وصاحبه من العوام ، على انه كان يمكنه ان يستفيد من اختباره لشؤون الحجاز
وأصناف الحجاج ما لا يعرف الا من أمثاله المتمرسين بهذا الامر

سرينا منفردين ليس معنا رفاق من المصريين ولا غيرهم ممن نعرف ، ولكننا
وجدنا في الطريق عددا ليس بقليل من حجاج المغاربة منهم المشاة والركبان ، وقد
بلغنا بحرة في وقت السحر فعرسنا فيها ،^(١) وكان الجوع قد بلغ منا لاننا لم نتعش
قبل خروجنا من مكة فأكلنا مما حملنا من الزاد ، وكان جله من لحم خروف أهدها الي
بعض المحبين لم نرمثله في طراوة لحمه ولينه ودسمه ، لافي الحجاز ولا في غيره ، وهو ليس من
ضأن الحجاز . ثم منا قليلا إذ استيقظنا بعد طلوع الفجر فأدركنا صلاته بفضل الله تعالى
لم أر من بحرة في إلمامي بها لبلا قادم من جدة الى مكة الا ما على جانبي الطريق
العام من المنازل التي يسمونها القهاوي وهي خاصة بالرجال ، وأكثر من ينزل فيها
الرجال الذين لا يستغنون عما فيها من الطعام وشراب الشاي والقهوة وما يحتاجون
اليه من الخدمة ، أو الذين يريدون الاستراحة قليلا وان كان معهم كل ما يحتاجون
اليه ، وكنت حينئذ من هذا الفريق كما تقدم ، وفي هذه المرة نزلنا في المنازل التي
يسمونها العشش وهي وراء تلك القهوات ، وقد رأيتها فوق ما كنت أحسب — رأيتها
دورا في كل دار بيوت من العبدان وبيت خلاء لها حائط منها يفصلها عن غيرها

(١) التعريس نزول المسافرين في آخر الليل للاستراحة

من الدور بحيث يكون النساء في كل منها في ستر تام غير معرضات لأعين أهل الدور المجاورة لها، نزلت مع الوالدة والشقيقة في دار، ونزل رفاقنا في دار بجانبها، ومكثنا هناك إلى ضحوة النهار، وقد نفذ ماحطنا من مكة من الماء، فجاءنا وكيل الحرج بماء كدر غير عذب، فسألناه ألا يوجد ماء بقي عذب في هذه الأرض؟ قال بلى ولكنه شال لا يكفينا للماء ما معنا من أواني الشرب أقل من ريال، فأمرناه بأن يأتينا بقدر الكفاية منه، فجاءنا بماء لا يفضل الأول إلا بمضاعفة ثمنه، فكانت هذه كبرى سيئاته، جعلها خاتمة لخدمته، فكانت سبب حرمانه مما كنت أنوي أن أجعله علاوة له على الأجرة لوافية التي خصصها له الأمير، وما كان يصيبه كل يوم بعد كفايته وكفاية أهله من فضل النفقة المئنة، وما أخذه من ذبايح نسكنا التي وكلته بالتصرف فيها، وقد سبق له مثل هذه السيئة معنا بمنى، جاءنا بماء كدر لولا أن تداركنا أنفسنا بالبحث عن ماء بقي وقضاه لما سلم أحد منا من مرض التثالة الشعبية التي ظهرت أعراضها في بعضنا، واكتنا غفرنا له تلك. وأما هذه فلم نستطع تداركها، وسوء الخاتمة لا يضر ففسألته تعالى أن يحسن خاتمتنا.

هذا وأنا قد قلينا من الظأ في بقية يومنا وعامة ليلتنا بين بحرة وجدة مالم نعرف له نظيرا في تاريخ حياتنا، فكنا نبل أفواهنا من ذلك الماء عند الضرورة، وحاولت الاستفناء عنه بمص رب السوس فلم يفن شيئا. وفي هذه الحالة تذكرت ما كنت عازما على استصحابه من مهر فأندسني الشيطان وهو السكر الليموني أي المزوج بحامض الليمون، فأوصي كل مسافر إلى تلك البلاد وأمثالها أن يحمل معه شيئا منه وصلنا إلى جدة قبيل الفجر فتزلنا في دار صديقنا الشيخ محمد أفندي نصيف وكيل الإمارة الجبلية وقد نمنا بعد صلاة الفجر ساعات قليلة، وبعد الاستيقاظ طلبت ماء سخنا الاستحمام فاغتسلت وغبرت ثياب الطريق وعللنا أن أكثر الحجاج المصريين نزلوا إلى السفينتين اللتين جاءوا فيهما فتبعناهم وزودنا صديقنا بأحسن الزاد، ونزل معنا هو وبعض الأصدقاء في زورق البلدية البخاري إلى سفينتنا التي جئنا فيها (النجلة) مشيعين، وكان هذا آخر عهدنا بأرض الحجاز، ففسأل الله تعالى أن يمن علينا بالعودة إليها مرارا كثيرة حاجين ومعتبرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصائب الحرب

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

يشتغل بأعمال هذه الحرب — حرب المدينة — عشرات ألوف الألوف من الرجال ومئات الألوف من النساء كان أكثرهم يشتغل بأعمال الزراعة والصناعة والتجارة فيكثرون من نتاج الأرض ، ومن إيصال حاج بعض الناس الى بعض ، فيعم به الرخاء وغضارة العيش ، ويزداد المال في أيدي الناس ، وقد قدر عدد قتلى المعارك في أربع سنين بعشرة آلاف الف وعدد المشوهين من الجراح بخمسة وعشرين أو ٣٠ ألف الف وحل محلهم مثلهم أو أكثر منهم ، فتضاعفت خسارة البشر بالحرمان من فوائد أعمالهم ، فنقصت الأموال والثمرات بنقص الأنفس ، ثم بهلاك الكثير منهما ومن الأنفس بحرب الفواصات التي ابتدعتها مبتدعة أكثر رزايا التدمير والتقتيل — ألمانية — فقد رقت صناعة هذه السفن الغواصة حتى صارت تحمل المدافع ، وتقطع نحت الماء ألوفاً من الأميال والفراسخ ، وحيثما التقت بسفينة تحمل عروض التجارة ، أو تنقل الناس من بلد الى آخر ، أرسلت عليها وابلاً من قذائف المدافع أو سهاماً من الطوربيل ، فجعلتها كهصف مأكول ، لانفراق بين سفن المحاربين وسفن الأمم التي على الحياد ، ولا بين حاملة الجنود وعدد الحرب وحاملة العروض وأهل السلم من الرجال والنساء والأولاد ، أرادت بذلك أن تحرم انكساراً وأحلافها من ثمرات سيادة البحار ، بعد ان شدد هؤلاء عليها خناق الحصار ، فأذت الأمم كلها ، وأكثر من عدد أعدائها

كانت جوائح الفواصات سبباً في اشتداد الضيق وامتداد الغلاء الفاحش الى جميع أقطار الأرض. وقد كان هذا القطر المصري في السنتين الأولى والثانية من سني الحرب أقل الأقطار غلاءً وأكثرها رخاءً لان أرضه زراعية خصبة يمكنها أن تنتج من الاقوات ما يزيد عن حاجة أهلها وكان المخزون فيه مما يرد اليه من الخارج كالفحم

الحجري والانسجة والمواد والادوات اللازمة للزراعة والصناعة كثيرا ثمه معتدلا، وقد غلا ثمن القطن منذ السنة الثانية فربحت البلاد عشرات من الملايين قضت منها كثيرا من ديونها . فلما اشتد حرب الغواصات قل كل ما يرد من الخارج وتضاعفت أثمانه أضعافا ، وتبع ذلك غلات البلاد ومواردها حتى بلغ ثمن اردب القمح في الشتاء الماضي خمسة جنيهات ، ويبيع الآن الرطل المصري من السمن بأربعة عشر قرشا وخمسة عشر ، وبلغ ثمن أقة زيت الزيتون أربعين قرشا فصار مساويا للسمن بعد اشتداد غلاء السمن وكان قد زاد عنه، إلا أنه قد ورد منه أخيرا على الاسكندرية عدة قناطير من كريت فنزل الثمن قليلا. ورطل اللحم البلدي يباع في القاهرة بمائتين أو تسعة قروش ، وأقة العنب بيعت بأربعة قروش فخمس فسته ، وقس عليه سائر الفاكهة وقد سمرت الحكومة المصرية أكثر مواد الغذاء ، فكان تسميرها إياها سببا لزيادة الغلاء، ولم نر أهل هذه البلاد اتفقوا على مخالفة الحكومة وعدم الاكتراث لها بشيء كما فعلوا في تسمير القوات. فمن الثابت أنها لم تنقص من ثمن شيء الا زادوا فيه عما كانوا يبيعونه به قبل تسميرها إياه، اللهم الا زيت البترول فهو الذي استطاعت الحكومة أن تنفذ أمرها فيه تنفيذا مطردا. وقد كان ثمن رطل اللحم قبل تسميره ٦ قروش أو ٦ ونصف قرش فلما رفعت الحكومة الى هذا القدر ارتقى سعره كما علمت. وكان ثمن رطل السمن ٩ فصار بعد جعلها إياه نحو من ذلك بزهاء ضعفه. وكان ثمن أقة زيت القطن المكرر كثن رطل السمن فصار شأنه شأن السمن في التسمير والغلاء. وقس على ذلك سائر الاشياء وأما ما يرد الى القطر من الخارج فقد تضاعفت أثمانه الى ماشاءت أطماع تجاره التي لا حد لها ، فتضاعف ربحهم وعظمت روتهم ، وكلما غلوا في الغلاء، غلا أهل الفنع والبراء في الشراء، وقد بلغنا ان أغنى أم الارض من الاوربيين والامريكيين ترك موسروها في أثناء هذه الحرب جميع ما يعد في العرف من الكماليات، واكتفى الاغنياء منهم بالحاجيات، ومن دونهم بالضروريات، حتى ترك أكثرهم شرب الخمر التي كان بعضهم يبعدها ضرورة، وكسدت عندهم تجارة الترف والزينة، وشذأ غنياء هذا القطر، فاشتد تباريحهم في اتخاذ الجملي والحلل، وتنافسهم في الاثاث والرياش، وأرهق من دونهم من أهل الطبقة الوسطى عسرا ، ففسأله تعالى أن يجعل لهم مع هذا العسر يسرا .

تقريظ المطبوعات الجديدة

ان الاضطراب الى تقليل صحائف المنار على كثرة مواده دون تقريظ المطبوعات الجديدة في هذه السنة وما قبلها ، أو التويه بذكرها للإعلام بها ، وذلك حق لأصحابها على من يهدونها اليهم من أصحاب الصحف الدورية حقه العرف ، وأوجه التعاون على نشر العلم ولقراء هذه الصحف من الحق على أصحابها أن يعلمهم بما يتجدد في صناعة المطبوعات ، من الصحف والمصنفات ، ويبينوا لهم قيمتها المعنوية قبل بيان قيمتها المالية ، بالتقريظ الصحيح ، والنقد النزيه ، وانا نحب أن تؤدي الحقيق ، وتقوم بواجب النصيح للفریقين ، ولكن يتمذرع علينا تارة ويتمسرتارة قراءة ما يهدي الينا من هذه المطبوعات أو قراءة طائفة من كل منها ، تكفي لصحة الحكم في أمرها ، ولا نحب أن نكون كمن ينظر في فهرس الكتاب فيختار منه ما يظن أن فيه تقصيرا أو خطأ فيراجعه وينتقد منه ما يراه محلاً للانتقاد أو يختار موضعاً يوافق رأيه فينتقله ويخصه بالثناء ، ولا كمن يثني على كل كتاب يهدي اليه ثناء مجمل ، أو ينشر ما يري له اليه صاحب الكتاب اطراء مفصلاً ، وخير من هذا وذلك أن يعرف صاحب الصحيفة بالكتاب تعريفاً تاريخياً بذكره وذكر اسمه واسم مؤلفه وموضوعه ووصف حجمه وورقه وطبعه ، وهو ما نجري عليه أحياناً ، وقد نزيد عليه بيان قيمته المعنوية أحياناً ، وان من الكتب ما يعرف الجمهور قدره في الجملة بمجرد ذكره أو وصفه . وانا نراجع الآن ما أهدي الينا في هذه المدة ونذكر ما يقيم في يدنا منه فيما بقي من أجزاء منار هذا المجلد

﴿ جرجي زيدان ١٨٦١-١٩١٤ ﴾ « ترجمة حياته ، مرآة الشمر » والكتاب حفلات التأبين ، أقوال الجرائد والمجلات في الرجل وآثاره » نشر هذا الكتاب اميل افندي زيدان نجل جرجي بك زيدان وورث الهلال من بعده مؤلفاً من ص ١٤٧ بحجم الهلال مطبوعاً بمطبعة الهلال في سنة ١٩١٥ وهذا الكتاب يستغن عن الوصف والتقريظ

﴿ مبادئ علم السياسة ﴾ كتاب لخصه سليم افندي عبد الاحد الكاتب

[المنار: ج ٢٠ م ٨] تقرير المطبوعات الجديدة. خلق المرأة . الصبي ٣٦٧

المشهور من بعض الكتب الانكليزية لمجلة الهلال فطبعت بمطبعها في سنة ١٩١٥ وجعلته ملحقاً للسنة الثالثة والعشرين من مجلة الهلال . وهو ثلاثة أقسام (أولها) في الدولة — حقيقتها ونشوتها وسلطانها وصلتها بغيرها وأنواع الدول في القديم والحديث (ثانياً) نظام الحكومة — سلطتها بأنواعها وأنظمتها وسياساتها وإدارتها وأحزابها وغير ذلك (ثالثاً) الحكومة والاجتماع ، وفيه ذكر المذاهب الفردية والاشتراكية والانظمة الحاضرة . أما حاجة اللغة العربية الى مثل هذا الكتاب فشديدة لكثرة القراء الذين يهتمون بالامور السياسية وقلة ما في اللغة من موادها . وأما طبع الكتاب فنظيف وورقه جيد ، وصفحاته ١٣٠ بشكل المنار والهلال

﴿ خلق المرأة ﴾ كتاب ألفه بالفرنسية هنري ماريون الذي كان أستاذاً في كلية الآداب بباريس وترجمه بالعربية اميل افندي زيدان صاحب الهلال وجعله ملحقاً للسنة السادسة والعشرين . وقد طالعت كلاً فألفت كاتبه من أعدل الكتاب لاوريين في هذا الموضوع ، وأرجو أن أكتب شيئاً في بيان ما استفدت منه ، وقد طبع بمطبعة الهلال طبعاً حسناً ولكن على ورق غير جيد — والمذرة قلة الورق وكثرة الثمن — وصفحاته ١١٩

﴿ الصبي — بحث في الاخلاق والتربية في قالب روائي ﴾

كتاب الفته فتاة انكليزية اسمها (ماري كورلي) وعني بترجمته بالعربية عبد العزيز افندي صدقي من موظفي وزارة المعارف والتزم طبعه نجيب افندي مئري صاحب مطبعة المعارف وقد طبع الجزء الاول منه في العام الماضي في ١٢٨ صفحة أما المترجم فشاب نبيه يتوخى أن ينفع بلاده بما يترجم وليس ممن لاهم لهم من الترجمة أو التأليف الا الكسب فيختارون ما يلذ للجسم ولا ما ينفعه ، وعبارته حسنة ولكن فيها ما فيها من ضعف أساليب الجرائد وغلطها ، وذلك ما يهز أن يسلم منه كاتب عصري ، وهو على ما أظن غير مفرور بها على علمه بأنها تفضل عبارات أكثر مترجمي القصص التي تنشر في هذه الايام ، بل يحب الترقى والكمال في الترجمة والانشاء ، ولا طريق لذلك الا عرض ما يترجم وينشئ لنقد بعض علماء اللغة والادب ومتأنقي الكتاب قبل نشره أو بعده ولو بالجمل والجزء

وأما غرضه من ترجمة هذه القصة فقد بينه في مقدمتها وهو اكمال ما ينقص البلاد من القصص الجدية الجامعة بين اذة المطالعة والفائدة النافعة في تربية الاسرة، وقد شرح ذلك شرحا جميلا في صفحتين ونصف صفحة

تصفحت هذا الجزء، فألفيته مفيدا كما قال المترجم ولكن البلاد ليست فارغة خالية من مثله كما ادعى، كيف وقد طبع فيها كتاب (التربية الاستقلالية) مرتين وأوشكت نسخ الطبعة الاخيرة أن تنفذ، وهو اذا قوبل بما ظهر من كتاب (الصبي) يظهر انه اعم فائدة وأفضل، وأسلم من اهل القصص وأبعد، ومما أعجبنى من الفوائد التي انفرد بها كتاب الصبي أو خالف فيها غيره بيان كراهة الشعب الانكليزي لتعليم أولاده وتربيتهم في مدارس أجنبية. فان مؤلف كتاب التربية الاستقلالية (اميل القرن التاسع عشر) — وهو فرنسي — قد استحسن أن يربى الطفل الفرنسي في البلاد الانكليزية لان التربية فيها أفضل، وأن يعلم ويربى في بلاده اذا صار يافعا، لينشأ فرنسيا وطنيا صادقا، ثم يكمل علومه في البلاد الالمانية، لان العلوم العالية أرقى فيها وأكمل. وأما مؤلفة كتاب الصبي أو قصته فهي تقول في التعليم في المدارس الأجنبية ما قال مالك في الخمر، وتجعلها أدهى من الساعة وأمر، فقد ذكرت أن أم (الصبي) الجاهلة، التي جعلتها مثلاً للتربية الفاسدة، قد اختارت له مدرسة أجنبية، يتعلم فيها من اللغات والعلوم العقلية والجسمية، ما يؤهله لكل عمل في الحياة، على قلة الاجرة والنفقات، ثم ذكرت أن الصبي ارتاع لهذا الاختيار الذي يخرج به عن كونه انكليزيا « اذ كان وجدانه يحدثه أن المدارس الأجنبية تبدل جنسيته وأخلاقه » ثم قالت إن الصبي ذكر ذلك لشيخ كبير مخبر يعرف البلاد الأجنبية فحذره من ذلك وأنذره سوء عاقبته بقوله : إن المدارس الأجنبية لا تخرج انكليزيا مطلقا، انك تذهب الى الخارج شابا ظريفا مؤدبا كما أنت الآن، ولكنك لا تعود بتلك الصفات، ستعود وقد تعلمت الكذب والنفاق والخدعة، فعند ما تتحدث تهق كالخمر، وعند ما تسير تفقر كالضفادع، وسوف تخاف من الماء البارد. ولا يمكن الناظر الى وجهك أن يقول انك انسان حي، انك أجنبي متسخ حقير، هذا ما ستكونه. اهـ

(المجلد العشرون)

٢٦٩

(الجزء التاسع)



أَوْفَى
الحكمة من بناء ومن يؤمن بالحكمة قلده
غبارا كثيرا وما يذكر الأولو الألبار

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أحياء
أولئك الذين هدام الله وركك هم أولو الألبار

﴿ قل عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و «منارا» كنار الطريق ﴾

٣٠ شوال ١٣٣٦ — ١٤ الأسد (ص ٢) ١٢٩٦ هـ ٧ يوليو ١٩١٨

(المجلد العشرون)

(٤٧)

(التر: ج ٩)

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (١)

لما وصل إلينا هذا النقد في بريد الشرق الأقصى كان أول ما خطر في بالنا قبل أن نقرأه أنه يجب علينا إذا وجدناه كله أو جلّه صحيحاً أن نشهد لصديقنا الناقد بالتدقيق والتحقيق وأنه برّ فيهما علماء مصر وغير مصر من البلاد الإسلامية التي اطّلع كثير من علمائها على كتاب (ذكرى المولد النبوي) فلم يروا فيه بمض ما رآه هو من الخطأ، ثم قرأنا النقد فرأينا أكرهه خطأ محضاً، وأقله ماله وجه أو شبهة، وهأنحن أولاً نبين ذلك بما يحتمله المقام من التفصيل، مع اتقاء ما يمل من التلويل (الموضع الأول - تأليف الكتاب هل هو بدعة)

قد غفل الناقد عما حررناه في المقدمة من كون البدعة في احتفال المولد انماهي مجموع ما يعمل به الناس من خلط العبادات الدينية باحتفالات الزينة واللهو - الخ ما ذكر في صفحة ١ من المقدمة، وقد صرحنا فيها بأن قراءة قصة المولد هبارة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية لا ينكر منها الا جعلها من الشماثر الدينية الموهمة أنها مشروعة أي بالتوقيت والاجتماع وغير ذلك. ففعل عن ذلك وجعل هذا العمل العلمي المفرد، عين ذلك المجموع المركب، ومن العجيب انه ادعى اننا ختمنا كل فصل من ذكرى المولد بماء الصلاة البتراء. غافلاً عن كون أهم فصوله وهو فصل تبليغ الدعوة لم يختم بصلاة بتراء ولا غير بتراء، وكذلك فصل مناقضة الدعوة، والجلء الرسول (ص) الى الهجرة، ومثلها الخاتمة

أما قولي في آخر تلك الصفحة انني كنت أنحامي كتابة قصة للمولد لما ذكرت من الاسباب الثلاث فهو حكاية عن رأيي في هذه المسألة في السنين الخالية، وأما

(١) بحسن أن يراجع النقد في الجزء الثامن عند كل موضع من المواضع

٣٩٦ حكم تأليف الكتاب وطبعه. اصطفا، قر يش والآل وامتيازهم [المنار: ج ٩ ص ٢٠٩]

ما أنفذته إثر ما كان من المذاكرة بيّني وبين البكري فهو ما ترجح عندي بمد ذلك وهو كتابة مصنف وجيز في خلاصة تاريخ المصطفى (ص) وسيرته، وحقيقة دعوته، وكمالات دينه وشريعته، يكون دعوة إلى الاسلام، وردًا لما فشا في قصص الموالد من الاباطيل والالوهام، وأن أنشره مع بيان ما به تكون قراءته فريضة أو فضيلة محمودة. ولا يكون به بدعة مذمومة، فتكون بذلك فوائد نشره مضاعفة، وأني أعتقد أن هذا العمل واجب شرعا ولو فصّلت أداتي على ذلك لما خفيت على أحد ولكن لأحاجة إلى هذا التفصيل

على أن آخر عبارة الناقد لهذا الموضع تفيد اجازة هذا التأليف ونشره في المنار، إذ حصرت النقد في طبعه منفردا وختم فصوله بالصلاة البراء، ويعني بها ما ترك فيها الصلاة على الآل، لانه فيما يظهر ينكر ذلك وبراء بدعة محظورة، ويلتزم قرن الصلاة على النبي (ص) بالصلاة على الآل ولو فيما ينقله عن غيره كما يراه قراء نقده فيما نقله عن ذكرى المولدة وهذا من التحريف في النقل ولا يخفى حكمه. ونحن لا نتكر أن الصلاة على الآل تبعا للصلاة على النبي (ص) مشروعة في الصلاة وكذلك في خارجها، ونحن نفعلها في القشيد من الصلوات دائما وفي غيره أحيانا، ولم يقم عندنا دليل على التزامها ولم يصح عندنا نقل عن السلف من الصحابة وعلماء التابعين ولا أئمة آل البيت بذلك، وإنما تلزمهم افرقة الشيعة وقليل من غيرها، والتزامها أقرب إلى البدعة من تركه، لان الاصل في البدعة مخالفة ما كان عليه أهل الصدر الاول بشرطه، وأما طبع الكتاب وحده فهو كطبعه في المنار، والناقد نفسه يقترح أن يطبع مرة أخرى يراعى فيها ما رأى تنقيحه في نقده كما تقدم آنفا

(الموضع الثاني - الفرق بين الامتياز وما به الاصطفا)

سألنا في الكتاب: كيف كان اصطفا، الله تعالى لتلك البطون من العرب، وهم امتازوا على غيرهم حتى كانت أمتهم بهم أفضل الامم، وأشد استعدادا لذلك الاصلاح الكامل العام، الذي جاء به صفوة البشر منهم عليه أفضل الصلاة والسلام؟ وأجبنا عن ذلك بما شهدت به التواريخ العامة من امتياز الامة العربية على سائر الامم من بدء التاريخ إلى عصر الاصلاح الاعظم بالبعثة المحمدية، وبما عرف في تاريخ العرب

[المنار: ج ٩ م ٢٠] العقاب راية قريش أم راية النبي (ص) ٢٩٧

أنفسهم من امتياز كنانة فيهم وامتياز قريش في آل كنانة وامتياز بني هاشم في قريش - فعلم بهذا أن اصطفااء كل بطن منهم كان بما امتاز به من المزايا والصفات والاحوال التي كان عليها ، وأن ذلك كان إعدادا لهم ، لجعل صفوة الاصفياء في خير بطن منهم ، ولقيامهم بدعوتهم ، ونشرهم لهدايتهم ، ولم يتأمل الناقد ذلك فوقع فيما وقع فيه مما لم يخطر لغيره من الكتاب وعلماء اللغة عندنا ببال ، اذ لم يفطن لكون ما به الامتياز هو سبب الاصطفااء أو نفس الاصطفااء

(الموضع الثالث - انكار عطف واقتراح آخر)

أنكر الناقد علينا في جملة « كانت الامم مرهقة بالاثرة والانانية والانين من ثقل الضرائب » من الصفحة الخامسة ان عطف الانين على الاثرة غير صحيح أو غير واضح واقتراح حذفه أو وضع فعل الانين المضارع موضع المصدر ، قل ليصح العطف أو لم يكون أوضح ، ونقول ان لانكاره دون اقتراحه وجها وجيها ولكنه لم يبينه ، وهو ان الباء في قولنا « بالاثرة » للسببية أو الآلة وكل من الاثرة والانانية سبب للرهق الذي أرهقته تلك الامم أو آلة له ، وأما الانين فهو أثر السبب أو الآلة وليس منه ، ولوجه ان يقال « تأن » بغير عطف

(الموضع الرابع - أما وجوابها)

بيننا وجوه اصطفااء كنانة وقريش وبني هاشم على غيرهم من العرب بأسلوب أما وأما - فانكر الناقد ذلك في كنانة بجمله هنا خلاف الاولى ، زاعما ان الاولى حذف أما وجوابها ، وبه الكلام هكذا : اصطفااء الله لكنانة يعلم مما كانت تحفظه العرب الخ ولم يبين وجه هذه الاولوية فندعها الى القراء يحكمون فيها بملهم وذوقهم (الموضع الخامس - ندوة قريش ورايتها «العقاب»)

زعم الناقد اننا في هاشم الصفحة الثامنة فسرنا الندوة بالشورى وخصصناها باباجالة الرأي للائتمار بالنبي (ص) بعد البعثة ، وان المعروف ما ذكرناه عنها في صلب الكتاب ، وقد نهم ذلك من قولنا « التي اجتمعوا فيها بعد البعثة الائتمار به (ص) » وبديهي أن وصفها بذلك لا يدل على ما فهمه من التخصيص وانما تلك غفلة ظاهرة منه

وأما انكاره قولنا ان العقاب راية قريش وقوله ان المعروف انها راية النبي

٢٩٨ معاني العقاب بالضم وما ورد في الراية النبوية [المنار: ج ٨ م ٢٠]

(ص) كما في القاموس، فما كان له أن يرسله بدون مراجعة لكتب التاريخ والحديث
اذ كلمة القاموس وحدها لا تكفي للفصل في مثل هذه المسألة وهو يعلم أن معاني
القاموس مشهور لا يعرف عامة الناس غيره لذكره في السيرة النبوية، وأشعار الشعراء
نقول صاحب الحمزية

فقدنا ناظرًا بمعني عقاب في غزاة لها العقاب لواء

فكان ينبغي له - والأمر ما ذكرنا - أن يقول أن مجي هذه العبارة من
صاحب المنار على خلاف المشهور لا بد له من أصل، ثم يراجع لعله يقف على هذا
الأصل ويحكم فيه حكمه

أشهر معاني العقاب (بضم العين) أنه طائر من الجوارح التي تصيد (ومنها) الحرب
تقله في اللسان عن كراع (ومنها) العلم الضخم تقله الجهور، قل في اللسان والعقاب الذي
يعتد للولادة شبه بالعقاب الطائر وهي مؤنثة أيضا، وتقل صاحب العقد الفريد في
كتاب النسب عن ابن المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي أن الذين انتهى اليهم
الشرف من قريش فوصلهم بالاسلام عشرة رهط من عشرة أبان كان لكل منهم
منصب ومكرمة من المكارم التي كانت لقريش - وهي التي ذكرناها في الصفحة ٨ -
قل : فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب يسقي الجميع في الجاهلية وبقي له ذلك
في الاسلام، ومن بني أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش وإذا
كانت عند أحد أخرجها إذا حجت للحرب فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه
العقاب وإذا لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه اه المراد منه .

ويؤخذ من كلام علماء التاريخ والعاديات أن طائر العقاب شعار قديم للعرب وقد
عبر بعضهم عنه بالصقر وإنما الصقر في اللغة اسم لكل ما يصيد من جوارح الطير فانظروا
ان قريش اسم راية الحرب الكبرى بالعقاب من ذلك، أما كون رايته (ص) تسمى
العقاب فلم يثبت في حديث صحيح، ويحتمل أن يكون سبب هذا القول ان بعضهم
أطلق هذا اللفظ على رايته الكبرى بمعناه اللغوي العام الذي هو العلم الضخم فهم
آخرون من لا يطلق ان العقاب اسم علم لها، وقد لخص الخافض ابن حجر في شرح
(باب ما قبل في لواء النبي (ص)) من صحيح البخاري ماورد في كتب السنة في

[المنار: ج ٩ م ٢٠] معاداة قریش للنبي أولاً ونهوضهم بالاسلام أخيراً ٣٩٩

ذلك وحكى هذا القول بصيغة التبريض والتضعيف . وقد رأينا أن نذكر هبارته برمتها لأنها فصل الخطاب في مسألة هذا الباب قال :

« اللواء بكسر اللام والمد هي الراية ويسمى أيضاً العلم وكان الاصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه . وقال أبو بكر بن العربي : اللواء غير الراية ، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه والراية ما يعقد فيه وينترك حتى تصفقه الرياح . وقيل اللواء دون الراية . وقيل اللواء العلم الضخم والعلم علامة لمحل الأمير يدور معه حيث دار والراية يتولاها صاحب الحرب . وجنح الترمذي الى التفرقة فترجم بالالوية وأورد حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض . ثم ترجم للرايات وأورد حديث البراء أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء مربعة من نمرة وحديث ابن عباس كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض أخرجه الترمذي وابن ماجه وأخرج الحديث أبو داود والنسائي أيضاً ومثله لابن عدي من حديث أبي هريرة ولابي يعلى من حديث بريدة ، وروى أبو داود من طريق سماك عن رجل من قومه عن آخر منهم : رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء ، ويجمع بينهما باختلاف الاوقات . وروى أبو يعلى عن أنس رفعه « ان الله أكرم أممي بالالوية » واسناده ضعيف ، ولابي الشيخ من حديث ابن عباس كان مكتوباً على رايته لا اله الا الله محمد رسول الله وسنده واه . وقيل كانت له راية تسمى العقاب سوداء مربعة وراية تسمى الراية البيضاء وربما جعل فيها شي « أسود » اه (الموضع السادس — توجيه قوى قریش لمعاداته «ص»)

أنكر الناقد قولنا في الصفحة التاسعة ان قوى قریش المعنوية وجهت كلها لمعاداته (ص) بأنها مشعرة بغاية الهجو وموهمة أن جميع قریش وجهوا جميع قواهم لمقاومته (ص) وبأن هذا مخالف للسباق وللواقع ، ثم نوه بفضل قریش بما نوه به

وتقول في الجواب (أولاً) ان ما يتضمنه الكلام من هجو فهو خاص بجاهلية قریش التي ذمها الله ورسوله والمؤمنون ، فقد فعلوا ما فعلوا وهم مشركون ، وما زال أكثرهم مشركين أكثر مدة البعثة ، وما صاروا يدخلون في الاسلام أفواجا لا بعد فتح مكة ، ويأس من بقي من زعمائهم بعد الحرب من الرياسة ، وأي جرم أجدر بالذم والهجو

• • • مع معاداة قريش للنبي أولا وهو وضعهم بالاسلام أخيرا [المنار: ج ٩ م ٢٠]

مما فعلوا من إيذاء الله ورسوله وفتنة المؤمنين وإخراجهم من ديارهم، وقتالهم في دار هجرتهم، وذلك لا يقتضي ذم المؤمنين منهم ولو بعد الإيذاء، فقد كان خالد بن الوليد أشد كآتهم نكاية في قتال المسلمين، ثم صار أشدهم نكاية وبلاء في قتال أعدائهم الكافرين، (وثانياً) إن ما كان من كفر أكثرهم وإيذائهم لا ينافي ما ذكرنا من استعداد جمهورهم للإسلام بما ذكرنا من مزاياهم، فإن سبب الكفر والإيذاء كبير في الرؤساء المعروفين وحيلولتهم بين الرسول وبين الجمهور وتقليد الدهماء واتباعهم لهم، ولذلك كان صالح الحديبية فتحاً مبدئياً بظهور ذلك الاستعداد فيهم وفي غيرهم من العرب عند ما صاروا يجتمعون بالمسلمين ويؤمنون منهم القرآن وصفة الإسلام كما بينا ذلك في ص ٣٩ و ٤٠ من ذكرى المواعظ، ومن الدلائل على هذا حديث جابر مرفوعاً عند أحمد ومسلم «الناس تبع قريش في الخير والشر» وحديث أبي هريرة مرفوعاً عند البخاري «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» (وثالثاً) إن العبارة لا تدل بطريق الحقيقة ولا المجاز ولا السكناية على أن جميع أفراد قريش وجهوا جميع قواهم لمعاداته (ص) وإنما هي صريحة في توجيه قوى القوم المعنوية التي هي جاههم ومكانتهم الدينية والادبية في العرب إلى مقاومته (ص) وإنما تكون هذه القوى للهيئة الاجتماعية والجمهور الأعظم الذي يمثله الزعماء، وهذا هو الذي حصل فلا مجال فيه للجدال والمراء، ولم يكن الذين آمنوا به (ص) من قريش قبل الهجرة بقادرين على حماية الدعوة، ولا حماية الرسول وضعفاء المؤمنين من الأذى والفتنة، بل كان أكثرهم محتاجاً إلى من يحميه ويحميه من جمهور قريش أصحاب الجاه والثروة والعظمة،

وقد أراد الناقد أن يكثر عدد السابقين الأولين من قريش إلى الإسلام، ونصر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، فجعلهم ثلاثة أزواج: (١) السابقون إلى الإسلام مع إخفائهم ومثل له أبي طالب، وقد ثبت في حديث الصحيحين أن أبا طالب مات على شركه وأنه أدنى أهل النار عذاباً لدفاعه عن الرسول (ص) وحياطته له وإن كان يباعث القرابة والعصبية، و(٢) السابقون المتحملون لمشاق التعذيب ومثل له بآل ياسر وليسوا من قريش وإنما هم غنسيون من اليمن، ولم يذكرهم بما كانوا يقاسونه من تعذيب قريش لهم، وعجز جميع المؤمنين عن اغاثتهم والدفع عنهم، حتى أن

[المنار: ج ٢٠ م ٩] بطلان زعم الزمزمي في اسلام قريش ٤٠٩

النبي (ص) كان يمر بهم فيقول «صبروا يا آل ياسر موعدكم الجنة» و(ص) السابقون القامون بنصرته ونشر دعوته (قال) كحزمة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم، وتمثله بذكر هؤلاء صحيح ولكنهم كانوا عددا قليلا لم يقدروا على حماية أنفسهم وحماية الدعوة بل أخرجهم جمهور قريش القوي مع الرسول (ص) وسائر المؤمنين من ديارهم بغير حق كما شهد الله تعالى في سورة الانفال والحج والمتحنة وما ذكره من فضائل قريش في تقديم هذه العبارة من حق وباطل وتودون ما ذكرناه نحن في هذه الرسالة بحق، ولا تناقشه الا في قوله ان الاسلام ما اعتز ودخل في طور القوة والممنة الا بعد اسلام من تأخر منهم، فقيه نظره بل هو غلط، فان الاسلام قد اعتز وقوي بدخول الانصار فيه وان كان فضل السابقين الاولين من المهاجرين على الانصار مرفوقا لا ينكر، في كونهم الاساس الاول والركن الاعظم، ولكن أخانا الناقد الفاضل أحد أفراد عصبية جديدة ذات نزعة عصبية للعلويين من قريش، وبهذه النزعة استصغروا استكبره واستعظمه جهاير المطالعين على ذكرى المولد النبوي من فضائل قريش عامة والعلويين منهم خاصة بحق، ولنا في هذه العصبية كلام نقوله بعد ثم اننا نبرأ الى الله مما نقله عن الزمزمي في همزيتة وهو زعمه أن قريشا لم تبطل بالايمان بغضا وجفاء بل امتنعوا من تولي الرسول (ص) لثلايشك فيه من يرى نصر القرياء له، بل أخروا ذلك الى أن تولى الله نصر دينه فلما كان ذلك دخلوا فيه وصاروا رؤساء له، فهذا الزعم مخالف لما علم بالضرورة من الكتاب والسنة وكتب السيرة النبوية كلها، فلما ظهر منه ان الناظم يريد ان السواد الاعظم من قريش آمنوا بالنبي (ص) باطنا وكتبوا اسلامهم لعلمهم بأن الله سينصر رسوله ويعز دينه بغير سبب ولا أحد من المؤمنين من غيرهم) اذ الظاهر أن هذا الرجل وأمثاله ينكرون فضل الانصار الثابت بشهادة الله ورسوله لهم بالايواء والنصر أو يصفرونه أو يخفونه) فأحبوا أن لا يكون اظهارهم للاسلام شبهة على نصره بالخوارق فأخروه لذلك؟ وماذا يقول في الايداء والفتنة قبل الهجرة وفي سبهم من مكة الى المدينة لاجل قتال النبي (ص) والمؤمنين بعدها؟

هذا وانما ننوي تنقيح عبارات من كتاب (ذكرى المولد النبوي) عند إعادة طبعه منها الاشارة في هذه العبارة التي نردقده الناقد لها، نريد أن نحذفها ونقول «ولكن قواها» (أو قوى قريش) كلها وجهت لمعاداته عليه أفضل الصلاة والسلام» بدل «ولكن

٤٠٢ بعد آل النبي عن الحرب والرياسة قبل الاسلام [النار : ج ٩ م ٢٠]

هذه القوى كلها فان هذه الاشارة وقمت بعد كلام ليس مراداً منها، والناقد لم يلمح ذلك (الموضع السابع — بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة)

قلنا في الصفحة العاشرة في بيان فذلكة ما امتاز به بنوهاشم آل الرسول (ص) على صائر قومه من آريش: ان جملة ذلك الاخلاق العلية والفواضل العملية والفضائل النفسية، والبعد عن الاثرة والامور الحربية، ولذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الاسلام.. فرد علينا الناقد بقوله: لعل ثبوت بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة لا يصح قبل الاسلام ولا بعده، واستدل على الاول بما كان من المناصب الحربية قريش قبل الاسلام وبما ذكرنا من امتياز كنانة ومالك وقصي في العرب، وعلى الثاني بحمل الآل لالوية القتال وقيادة الجيوش في بدر وأحد وخيبر وحنين الخ

وأقول في الجواب اتني أجل الناقد الفاضل هن ان يكون سوء الفهم، هو الحامل له على هذا النقد، كما يتبادر الى كل من قرأه وقرأ الاصل، وأكد أجزم بأن سببه نزعة العصبية التي أشرت اليها آفا، فهي التي ألقت الى وهمه أن العبارة تدل بمحملتها على عدم استعداد آل البيت النبوي عليهم السلام للرياسة والملك، وما يلزمهما من أمور الحرب، فأراد أن يرد على ذلك نفعل عن أصل العبارة وعن معنى الآل، وأخذ يستدل على اصالتهم في الامور الحربية وهمايتهم بأمرها، بما كان لغبرهم من قريش من مناصبها، وبما كان من الرياسة والملك لبعض أصول قريش وأجدادهم كمالك بن النضر وكنانة، ولم يكن لبني هاشم من تلك المناصب ولرياسات النبي ذكرها شيء، انما كانت لهم سقاية الحاج لحسب، وكان يتولاها العباس، الذي لا بعده الناقد ولا ذريته من الآل، أعني الذين وردت الاحاديث في فضلهم ونهريم الصدقة عليهم، فأما الندوة واللقاء، فكانت لبني عبد الدار، وقيل ان الندوة والمشورة كانت لبني أسد، وأما السفارة فكانتا في بني عدي وتولاها قبل الاسلام همر بن الخطاب (رض) وتفسير هذه المناصب يعلم من هامش ص ١٠ من ذكرى المولد ثم انه فغل عن جعلنا امتياز بني هاشم بالاخلاق والفضائل دون الحرب، وحب الاثرة والكبر، هلة لعلبة غبرهم إياهم على الرياسة الدنيوية حتى بعد الاسلام، ولم يهنم نكتة هذه الغاية « حتى بعد الاسلام » والمراد منها ظاهر وهو ان الاسلام زاد

[المنار: ج ٩ م ٢٠] بعد آل النبي عن الحرب والرياسة قبل الاسلام ٤٠٣

في امتيازهم وتفضيلهم، فكان مقتضى ذلك أن يقدموا على غيرهم، في كل ما يساوون غيرهم في الاستعداد له، ونهينا الى حكمة ذلك. وهذا الغاب يصدق ولو لم يكن الا لبني أمية، اذ العبارة لا تدل على انهم يطلبون في كل زمان وكل مكان، على اهم طلبوا في أكثر الازمنة، والامكنة، هذا هو الواقع الذي لامرأه فيه.

على انني اطلقت ضمير لآل في قولي « غلبوا » ولم يكن لاحد منهم صورة في ذهني لا لمعويين وما كان من زهد أئمتهم في الدنيا ورياستها، وما قابل ذلك من أثره غيرهم وتكاليهم عليه. وظلمهم إياهم، اتفق القلوب بهم، فأطلقت العام وأنا أريد منه الخاص، والعبارة صادقة في كل حل، لا تنقضها خلافة العباسيين من الهاشمين الذين لا يعددهم الناقد من آل الرسول.

ثم ان نفينا لجعل العناية بأمور الحرب من مزايا بني هاشم التي فضلوا بها سائر قريش لا يقتضي أن يكونوا جبناء يفرون منها، أو بلداء لا يحسنون التصرف فيها، اذا هم اضطروا اليها، فالحرب في نفسها شر، لا يبيحه الا جعله دافعا لمفسدة هي شر منه، واقامة مصلحة تصغر في جانبها هذه المفسدة، كما يعلم من أول ما نزل في الاذن للمؤمنين في القتال، وذلك قوله تعالى في سورة الحج (٣٧:٣٢) اُذْنُ الَّذِينَ يَقاتِلُونَ بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ٣٨ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره ان الله اقوي عزيز (٤٢) الذين ان مكناهم في الارض أقوموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. والله عاقبة الامور) فبنو هاشم لم يكونوا يحبون الحرب للرياسة والكسب، كغيرهم من العرب وغير العرب، ولم يوقدوا لذلك نار حرب قط، وقد كانت حرب الرسول (ص) كلها دفاعا عن الحق وأهله، وتأمينا لحرية الدين ودعوته، ولكنه كان أشجع الناس وأثبتهم في مواقف القتال، ويليهِ (ص) في ذلك عمه حمزة وابن عمه علي المرتضى (رضي الله عنهما) والشجعان من بني هاشم لا يحصون عددا، ولكن الشجاعة شيء. وحب الحرب للرياسة شيء آخر، وفي كلامه هنا ما أخذ أخرى سيحل بعضها من الرد على بعض المواضع الآتية، على انه لا غرض لنا في مناقشته في كل ما أخطأ فيه.

٤٠٤ المتفرنجون والاصلاح . قانون الاحوال الشخصية [المنار : ج ٩ م ٢٠]

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

٢

﴿ قاعدة اصلاح قانون الاحوال الشخصية ﴾

كان من أمر الحكومة المصرية بعد اعلان انكسار حمايتها عليها، وإلغائها منصب القاضي الشرعي الاكبر الذي كان يعين من قبل الدولة العثمانية عليها، أنها شرعت في أمر كان انفاذه في أيام ذلك القاضي متعذرا، وهو تأليف لجنة من علماء الازهر وبعض المدرسين في مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة الحقوق يرأسها وزير الحفانية لوضع قانون للاحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج وما يتعلق به كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة، تستمد مواده من فقه المذاهب الاربعة المشهورة ولا تتقيد بمذهب الحنفية وحده، بل يجمل القانون الذي كان وضعه قديري باشا الحنفي هو الاصل، ويؤخذ من فقه المذاهب الاخرى ما تراه اللجنة أيسر وأكثر انطباقاً على مصلحة الناس في هذا العصر. وطالما نعى طلاب الاصلاح في هذا القطر وغيره مثل هذا التفسير، ولكن ما جرت عليه الحكومة المصرية منتقد من وجوه أخرى بينها في مقال لم يتيسر لنا نشره، وقد كشفنا ببعضها بعض أولي الشأن، وأهمها جعل الاحكام الشرعية قانوناً وما يترتب على ذلك، فالقانون اذا أطلق في هذا المقام ينصرف في العرف الى ما يقابل الشرع من الاحكام، ويتوقف الحكم به على اقرار مجلس الوزراء اياه، وصدر أمر الحاكم العام (الدركيتو أو المرسوم السلطاني) به، ويلزم من ذلك جملة تشريعاً جديداً من هذه الحكومة يحكم به باسمها على أنها هي الواضعة له، وينفذه وزير من وزرائها لا يشترط أن يكون مسلماً، وكون القضاة يطبقون الحكم على ما يفهمون من نصوصه وان كانت سقيمة لا تدل على ما قصدته اللجنة دلالة واضحة (قد اطلعنا على بعض ما وضع من هذا القانون فوجدنا فيه عبارات كثيرة في نهاية الضعف والركاكة) وكونه سيشرح كما شرح غيره من القوانين فتستنبط الاحكام من عبارته (النص الحرفي) فيستعين بشرحه القضاة وكلاء الدعاوي على فهم المراد منه والعمل بما يفهمون من ذلك، ولما كنت منتقدا لهذا الوضع بهذه الصورة لم أبين

[المنار: ج ٩ م ٢٠] اقتراح إصلاح الشريعة بتغيير أصولها ٤٥٥

رأني في مواده عند ما أرسل الي وزير الحاقانية الجزء الاول الذي تم منه كما أرسله الى كثير من علماء الشرع والقضاة والمحامين من شرعيين وأهلبيين ، لان ابداء الرأي في ذلك يتضمن اقرار أصل العمل والموافقة عليه ، واست مقواله ولا موافقاً وقد انتقد كثير من أهل العلم بعض مواد هذا القانون في الجرائد واقترح بعض من أرسل اليهم ما تم منه اقتراحات عرضت على اللجنة العلمية المشتغلة بوضعه، وعلمت أن بعض المحامين الاهليين اقترحوا على وزير الحاقانية اغتنام هذه الفرصة لابطال تعدد الزوجات وتقييد أحكام الطلاق بنحو ما كان اقترحه قاسم بك أمين فيما كتبه في المسألة التي بسمونها تحرير المرأة، وإن أدري أعرضت أمثال هذه الاقتراحات على اللجنة أم التزمت الوزارة عرض ما هو منصوص في كتب المذاهب الاربعة ؟ وقد كتب بحث المتفرنجين وخاصة علماء الحقوق منهم في مسألة قانون الاحكام الشخصية، وحديثهم في وجوب جملة ما بقا لا راء الذين بسمونها الفشة الراقية - يعني المتفرنجية - وقد عني بهذه المسألة أحمد أفندي صنوت وكيل نيابة (الدلنجات) فألف فيها رسالة خرج فيها عن الموضوع الى ما هو أهم منه وأكبر، وأهم وأخطر ، وهو نسخ نصوص الشريعة الاسلامية كلها وابطال قواعدها وأصولها التي هي موضوع علم أصول الفقه، ووضع أصول أخرى لها يراها الواضع مرقية لهذه الامة الاسلامية من حضيض المهجبة القديمة التي كان عليها سلف المسلمين وخلفهم بزعمه ووجهه، الى قبة الترقى المدني الجديد الذي صعدت اليه الامة المصرية أو الفشة الراقية منها، التي يجب عنده أو ينتظر ان يقبها غيرها. وقد ألقى هذه الرسالة بصفة خطبة - أو محاضرة كما سماها - على جمهور كبير من هذه الفشة بقاعة المحامين بالاسكندرية (في ١٥ أكتوبر سنة ١٩١٧) تحت رئاسة المحامي انطون بك سلامة. ثم طبعت ووزعت على الناس، وألقي الي نسخة منها، فوجب علي الرد عليها شرعاً، وذلك ما رغب ويرغب فيه كثير من محسني الظن بي كما بيئت ذلك في مقالة الجزء الذي قبل هذا ان مواضع النقد والبحث في هذه الرسالة (أو المحاضرة) ثلاثة أهمها. القواعد الجديدة التي وضعها هذا الباحث لنسخ الشريعة الاسلامية بهدم أصولها القديمة كلها. ويليه المسائل المراد اصلاحها من قانون الاحكام الشخصية وهي أربعة ذكرها بجملة في ص ٥ (١) حرية المتعاقدين ولزومية العقد على الطرفين (٢) عدم التناقض مع قاعدة الحرية

الشخصية المقررة في قانون العقوبات (٣) رسمية عقد الزواج والطلاق (٤) تسهيل اجراءات الدعوى . وبيلي هذين مسائل متفرقة في موضوع الترقى الذي يدعيه هو وأمثاله ، ويطلب تغيير أصول الشريعة وفروعها لاجله . ونبدأ بالاول الالم فنبين رأيه في أصول الشريعة وقواعده التي وضعها لفسخ وتبطلها بتقديدها العلمى الشرعى فنقول:

أصول الشريعة ورأيه فيها

قال في أول الصفحة ٢١ ما نصه: « أصول الشريعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس. (أما القياس) فنصرف النظر عنه لاننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الأصول الأخرى » يعني انهم سيقيدون على الأصول التي يشعرونها بأنفسهم بناء على ان لهم حق التشريع في الأحكام الشخصية كالأحكام المدنية والعقوباتية التي تشري الحكومة فيها ما تشاء بارشاد المسيطرين عليها كما سيأتي بيانه ، ومنها ما يأخذونه عن قوانين الأفرنج كما هي . مثال ذلك قاعدة الحرية الشخصية المقررة في قانون العقوبات ، ومن أحكامها ان الاشئ متى تجاوزت السنة لرابعة عشرة يجوز لها ان تعاشر من تشاء بلا قيد ولا شرط ولا رباط شرعى ، وليس لوالدها حق ارجاعها عن فيها لذاته ، كما صرح بهذا مؤلف الرسالة في الصفحة الثامنة وغيرها . وكما انه لا يجوز لوالد بنت الخامسة عشرة فما فوقها ان يردها ويمنعها عن غيرها اذا اختارت ان تكون خدنا لاحد الفساق ، أو بغيا يمرض نفسها للزنا في المواخير والأسواق ، كذلك لا يجوز تقاضي الشرع ولا للسلطان أو نائبه ان يردها من هذا الحق الذي حقه لها القانون ، ولماذا ؟ لان القانون أباحه . أما ما أباحه الله في كتابه فذلك حاكم ان يحرمه عندهم كما سيأتي قريباً

قال : (وأما الاجماع) وجميعهم فيه حديث « لا يجتمع أمي على ضلال » فنقسمه الى قسمين إما اجماع العلماء أو حكم ولي الامر السابق (كذا) وعلى حسب قواعد نظامنا القضائي لا نقيد برأي مهما أجمع عليه الشراح الا ان نوافق على اجماعهم . وأما ما يقرره الحاكم بصفته صاحب السلطة التشريعية فيمكن خلفه ان يلغيه طبقاً لقاعدة ان السلطة التشريعية تملك ان تلغي ما تقرره طبقاً لتأثير شخصية الحاكم (كذا) وقد استشهد لهذه القاعدة بأن لكل سلطان ان يلغي ما وضعه من قبله ، وجعل إلغاء الاجماع من هذا القبيل ، ثم قال ان المتأخرين هم الذين جعلوا الاجماع حجة رضا منهم

[لئلا : ج ٩ م ٢٠] ابطال أصلي الكتاب والسنة في الشرع ٤٠٧

بتحكيم السابقين (قال) « ونحن الآن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » أي أنه يرفض أحكام جميع المسلمين من السلف والخلف، ولكنه ادعى أنه يتقيد بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فانظر كيف يتقيد بذلك ! قال في ص ٢٢

= ﴿ السنة ﴾ أريد أن أبحث القرآن من قبل لأن حكم اتباع السنة ناتج من حكم القرآن « القرآن بصفته كتاب الله قد أودع فيه كل حكم شاء أن يفرض على كافة المسلمين في جميع العالم اتباعه، فالذي ترك ولم ينزل في القرآن ترك ليكون لفرد حرية التصرف فيه ولولي الأمر الرأي في تقييده بحسب ما يراه لازماً لمصلحة الجمهور. فالرسول بصفته ولي الأمر حاكم الأمة وقاضيا كان إذا صئل عن أمر حكم فيه وهذه الأحكام أما صدرت في مسائل فردية خاصة فتقيدت بها وأما صدرت من الرسول لتكون قاعدة وحكماً عاماً وفي هذه الحالة تكون بمثابة قانون صدر من صاحب السلطة التشريعية ونفس هذه السلطة يملكها الحاكم في كل زمن بعده فيملك إلغاء ما تقرر بمقتضاها « وإذا استنتج أن السنة أما أنها تخصمت بمحادث فردية فصارت أحكاماً قضائية في طبيعتها، وأما تعممت في شكل قواعد وقوانين فصارت تشريعاً صادراً من ولي الأمر لزمته، وإذا ظهر من بعد اللاحقين من أولياء الأمر مصلحة للناس في تغييرها أو إلغائها كان ذلك ولا حرج. وهذا كله خاص بالأحكام المدنية فقط دون الدينية. ولا يناقض في شيء قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » وقوله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » إذ أننا إذا رأينا لزوماً للخروج عن السنة لمصلحة فلا يكون ذلك غير طاعة بل شيئاً آخر. وبديهي أن الرسول لو كان في هذا العصر لاختلفت سنته فيه ولو لم يسأل ما أبدى حكماً

= ﴿ الكتاب ﴾ قلت في الكلام عن السنة أن الله أودع الكتاب كل حكم شاء أن يفرض على كافة المسلمين في كل زمان اتباعه. فيكون الكتاب بذلك مقيداً للمسلمين فيما أمر. وبهذه المناسبة أريد القول أن ليس لأي حكم لم يرد في الكتاب حكم الفرض الواجب العمل به. وما زاد عن الكتاب من سنة أو إجماع حكمه الجواز إذا شاء قام به الفرد وإن لم ير مصلحة في ذلك فله المدول منه

« والأحكام الواردة في القرآن عدا المبادئ الأصولية العامة هي ثلاثة أقسام

٤٠٨ رفض احكام القرآن ومراعاة حكمة محرماته [النار: ج ٩ م ٢٠]

(١) ما حرم عمله (٢) ما أوجب عمله (٣) ما أجزء

ثم بين أن حكم القسم الاول أن لا يتعرض له ولا يحكم بشيء بخلافه في مرامه، كتحريم الأم والأخت والجمع بين خمس أزواج. ومرمى الشيء غرضه والمراد أن يعتبر الفرض من الحكم لا الحكم نفسه فهو اذا كالقسم الثاني. وحكم القسم الثاني ان يبقى منه ما يتحقق به الحكمة المقصودة منه. ومثل له بإيقاع العدة والشهاد على عقد الزواج. وبين أن حكمة العدة براءة الرحم من الحمل وحكمة الشهاد إعلان الزواج (قل) «فلا حرج في ان نصل الى الفرض ناقصود من أفيد الطرق وأخصرها» وعدّ جعل العقد رسماً مغنياً عن الشهاد، ومرد أكثر مدة الحمل على الطلاق مغنياً عن التقيد بالربص ثلاثة قروء. أي ومثل ذلك ما اذا علم عدم الحمل بالاطلاع على ما في الرحم بالاشعة التي تشف الجسم (أي نجهه شفافة) كالاشعة المعروفة بأشعة رونتجنه فبذلك يمكن إلغاء العدة على قاعدته. ثم قال بعد التمثيل الذي ذكرناه بالمعنى «وبذلك يتقضى وجوب التقيد بالمعاني الحرفية للافاظ القانونية الواردة في القرآن» وأما حكم الثالث وهو ما جعله القرآن جائزاً كتعدد الزوجات فهو ان الانسان يخبر فيه ولكن لكل حكومة ان تحرم منه باتقوانين الوضعية ما تشاء

هذا رأي أحمد افندي صفوت في أصول الشريعة الاسلامية ذكر انه يقوله ويقترحه بصفته مسلماً وهو هدم لأصول الشريعة كلها لا يوافق عليه مسلم في الارض وهو مسلم، وسنبين ذلك بالدليل في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

السيد الهمام - آل رنما

في آخر الساعة الثانية بعد النصف من ليلة الخميس لثمان بقين من شهر ذي القعدة الحرام الحلال (الموافق لحلول الشمس في الدرجة الخامسة من برج السنبلة سنة ١٢٩٩ هـ - ٢٩ اغسطس) قد وهب الله جل ثناؤه لصاحب هذه المجلة غلاماً سويماً أزهر اللون جميل الخلق كأخيه (محمد شفيع) الا انه أوسع غرة وأنحف بنية، فسميناه الهمام (بضم الهاء وتخفيف الميم) فنحمد الله ونشكره على ما حبانا به من مزيد نعمه ونسأله تعالى أن يجعل له أوفر نصيب من اسمه، حتى يكون قرة عين لنا ولائته وقومه، ومثل ذلك لأخيه وأخته، (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً)



أوني خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب
يوني الملكة من بناته ومن يؤث الحكمة فقد

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولوا الألباب
عشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كنار الطريق

٣٥ ذي الحجة ١٣٣٦ — ١٢ النيران (خ ١) ١٢٩٧ هـ ٦ أكتوبر ١٩١٨

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (*)

(الموضع الثامن — أولاد عبد المطلب)

أنكر الناقد ذكرنا في (ص ١٣) بعض أولاد عبد المطلب دون بعض وقال
ان المقام يقتضي استيعابهم لان الاختصار في محل البيان يوم الحصر . ونجيب عن
ذلك بأن المقام لا يقتضي استيعاب ذكرهم لان الكتاب ليس في تاريخ بني هاشم وإنما
هو خلاصة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته وكتابات دينه ومزايا ملته، وذكرنا
من أولاد عبد المطلب والده (ص) وأعمامه الذين لهم شأن عظيم في سيرته وهم أبوطالب
والعباس وحمة (رض) ولكن العبارة قد توهم غير المطالع على تاريخهم ان هؤلاء جميع
ولد عبد المطلب ولذلك نقمنا العبارة في نسختنا الخاصة التي يعتمد عليها في الطبعة
الثانية هكذا « وولد لعبد المطلب أولاد كثيرون أشهرهم أبوطالب والعباس وحمة

(*) تابع لما في ج ٩ وراجع النقد المردود عليه هنا في ص ٣٤٩ ج ٨

٤٢٢ حماية الرسول من قریش للقيام بالدعوة [المنار : ج ١٠ م ٢٠]

وعبد الله . وما الحاجة الى ذكر كبراء المشركين الضالين بعد سكوتنا عن ذكر أشهرهم أبي لهب ؟

﴿الموضع التاسع — ما لقي (ص) من جحود قومه وإيذائهم﴾
أنكر الناقد علينا اسناد الجحود والإيذاء الى قوم الرسول (ص) واقترح ان يصحح بقوله : فلقى أشد الجحود والإيذاء من زعماء قومه الذين أشقامهم الله . واحتج على ذلك بما قدمه من قيام كثير من قومه بمساعدته واجابة دعوته (ص) ونجيب عن هذا بما أجبتنا به عن ذاك الذي قدمه وأهمه أننا اهتدينا في هذا التعبير بالقرآن المجيد فقد قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل زعماء قومك. ولهذا الاستعمال نظائر فيه وفي كلام العرب ، ولا يعقل ان يشترط في لغة ما أن لا يسند الى القوم الا ما يفعله كل فرد من أفرادهم اذ لا يمكن العلم بهذا الا في قوم محصورين عملوا عملاً شاهده منهم من أخبر عنهم وذلك نادر ، وأما المعروف انه يسند الى القوم ما يفعله الجمهور وان أنكره من لا يؤثر انكاره لضعفهم أو قتلهم ؛ وكذا ما يفعله البعض ولم ينكره الجمهور كقتل اليهود للانبياء وعقر نمود للناقة. وتفصيل الرد على هذه المسألة يعلم مما يأتي في الكلام على الموضع العاشر والموضع الحادي عشر

﴿الموضع العاشر — حمايته (ص) للقيام بالدعوة﴾
أنكر الناقد علينا قولنا في (ص ٣١) أنه (ص) كان يدعو الناس لحمايته للقيام بهذا الامر فلم يحمه من قریش أحد ، واقترح أن تصحح العبارة أو تنقح بقوله : كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه للقيام بهذا الامر فحال زعماء الشرك دون ذلك الخ وهذا وما قبله من تلك العصبية ، وغرضه ان يفرز قریشا مما ذكر ويسنده الى زعماء الشرك على الإبهام ، والجواب عنه يعلم مما تقدم بالاجمال ، وأما التفصيل فهو في كتب الحديث والسيرة النبوية أيها راجع القارئ يجد فيه ان قریشا اشتد إيذاها للرسول (ص) بعد هلاك همه أبي طالب وانه خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه — وهذه عبارة ابن هشام عن ابن اسحق — وانه كان يعرض نفسه على القبائل فيردونه حتى أجابه وفود الانصار (رض) وفي حديث عمرو بن مسلمة عند البخاري ان العرب كانت تقول دعوه وقومه فان ظهر هليهم

[المنار: ج ١٠ م ٢٠] من ثبت مع النبي (ص) يوم حنين وأحد ٤٢٣

فهو نبي صادق. ولو كان فيمن آمن من قومه قوة ومنعة لما احتاج الى ذلك، بل كان كان يدعو القبائل الى الاسلام فقط. وهذا أمر مشهور متفق عليه ولم نر قبل هذا النقد الغريب أحدا بلغت منه العصبية لقريش حتى في شر ما كانت عليه في جاهليتها هذا المبلغ، وسنزيد هذا بيانا في الرد على الموضع الآتي =

﴿ الموضع الحادي عشر — ثباته (ص) في أحد ومن ثبت معه ﴾

قلنا في الكلام على شجاعته وثباته عليه الصلاة والسلام من (ص ٣٧) انه ثبت وحده يوم أحد. فأنكر الناقد علينا ذلك وقال انه « يذكر انه ثبت معه بضمة نفر من قریش وبنی هاشم (قال) وكذا في حنين وهذه منقبة لهم يحسن ذكرها أشعارا غزايا الاصطفااء التي ذكرتموها اه

والجواب ان الاحاديث الصحيحة تثبت انه (ص) انفرد بالثبات في الغزوتين بالذات وثبت معه أفراد بالتبع، فالأولى ان يعطف يوم أحد على يوم حنين أو يكتفي بالثاني فانه ثابت في الصحيح بلفظه فلا غرو ان يذكر في مثل هذا السياق، وان قيدوه بما سيأتي للجمع بين الروايات، ففي بعض ألفاظ حديث أنس من صحيح البخاري انه « لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذرائعهم ومع النبي (ص) عشرة آلاف من الطلقاء (هم الذين أسلموا في مكة يوم الفتح) فأدبروا عنه حتى (بقي وحده) فنادى يومئذ نداء من لم يخلط بينهما: التفت عن يمينه فقال: يا معشر الانصار؟ قالوا لبيك يا رسول الله نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الانصار: قالوا لبيك يا رسول الله نحن معك» الحديث، ويؤيده حديث البراء في الصحيحين وهو انه سئل: أوليتم مع النبي (ص) يوم حنين؟ فقال أما النبي (ص) فلا — الحديث — وفي رواية: أفورتم عن رسول الله (ص) يوم حنين فقال: لكن رسول الله (ص) لم يفر... وفي رواية انه سئل: أتوليت يوم حنين؟ قال: أما أنا فأشهد على النبي (ص) انه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن وأبوسفیان ابن الحارث أخذ برأس بخلته البيضاء» الحديث. وأبوسفیان هذا هو ابن عمه (ص) الحارث بن عبد المطلب وكان خرج الى النبي (ص) وهو قادم الى مكة فاتحاً فأسلم وحسن اسلامه. وروى ابن أبي شيبة من مرسل الحكم

٤٢٤ إعطاء غنائم حنين لأهل مكة دون الانصار [المنار: ج ١٠ ص ٢٠]

ابن عتبة أنه لما فر الناس يوم حنين لم يبق معه (ص) إلا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي والعباس بين يديه وأبوسفيان بن الحارث أخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الأيسر قال وايس يقبل نحوه أحد الا قتل . واختافت الروايات فيمن ثبتوا معه على أقوال: ٩ أو ١٠ أو ١٢ أو ٨٠ أو دون ١٠٠ أو ١٠٠ بضمة وثلاثون من المهاجرين والباقيون من الانصار وهذا الأخير تفصيل رواية أبي نعيم في دلائل النبوة ويروى عن العباس (رض) الله عنه أنه أنشد في ذلك نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فأقسموا وعاشرنا وافي الحمام بنفسه لما مسه في الله لا يتوجع قال الحافظ في الفتح وأمل هذا هو الثبت ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعد فيمن لم ينهزم وكان أول من ولى وانهمزم الطلقاء من قریش الذين دخلوا الاسلام يوم الفتح وما كلهم بصادق . وقال العلماء ما كل من ولى يومئذ كان فاراً من القتال بل منهم من كان متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى جهة أو فئة لاجل القتال، وبعضهم جرفه التيار وهو لا يدري أين ذهب ، وقالوا في الجمع بين رواية ثباته وحده ورواية ثبات القليل معه ان هؤلاء كانوا في خدمته وكان هو المهاجم وحده وهم يتبعونه من ورائه حيث توجه فتوجه الى قتال المشركين ولما رأى ما رأى من اختلاط الحابل بالنابل نادى الانصار فلبوه فكان النصر بهم وان كان فضل المهاجرين وثباتهم لا ينكر ، وكانت مزية بني هاشم ان اكثر العشرة أو الاثنى عشر الذين ثبتوا معه أولا منهم . وكان منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعثمان بن طلحة وميثم جهمور الصادقين أن تبينوا الامر فصاروا يتراجعون

وقد ثبت في الصحيحين وغيرها ان النبي (ص) لما حاز الغنائم العظيمة في هذه الغزوة قسمها في قریش بين المهاجرين الذين أسلموا قبل الفتح والطلاء الذين أسلموا يوم الفتح ولم يعط الانصار شيئاً فوجد بعضهم ذلك فقال بعضهم اذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا . وقال بعضهم يفر الله ارسول الله (ص) يعطي قریشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فجمعهم (ص) في قبة أدم (جلد) وسألهم عما بلغه عنهم فسكت بعضهم وقال قفواؤهم : أما رؤسائنا يا رسول الله فلم

[المنار: ج ١٠، ص ٢٠] فثائم حنين للمكيين دون الانصار ثبات النبي في أحد ٤٢٥

يقولوا شيئاً وأما ناس من محدثة أسانهم فقالوا كيت وكيت. فقال (ص) « أني أعطي رجلاً حديثي عهد بكفر أنألفهم — وفي رواية ان قریشاً حديث عهد ^(١) بجاهلية ومعصية واني أردت أن أجبرهم وأنألفهم — أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله (ص) الى بيوتكم؟ قالوا بلى. وفي رواية انه خطبهم فذكرهم فضل الله به عليهم بالهداية والتأليف بينهم والغنى ثم قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وقد هبوا بالنبي (ص) الى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأاً من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا وسلك الانصار شعبا لاخترت وادي الانصار وشعباء الانصار شعار والناس دثار» الخ وقد بين العلامة ابن القيم الحكم في غزوة حنين في الهزيمة ثم في النصر وقسمة الفنائم ومنها انه (ص) لم يعط كبار المهاجرين من الغنيمة كالانصار، فراجع في زاد المعاد ولخصه الحافظ في الفتح .

وأما ثباته وحده (ص) يوم أحد فهو ظاهر قوله تعالى (اذ تصمدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) فقد اتفقوا على انه نزل في هزيمتهم يومئذ قال الحسن البصري: فروا منهزمين في شعب شديد لايلوون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم « الي عباد الله الي عباد الله » ولا يلوي عليه أحد. وروى نحوه عن ابن عباس وعطية الصوفي وقناعة الالجلة الاخيرة فقد انفرد بها الحسن . وقد اختلفت الروايات فيمن ثبت معه (ص) وظاهر بعض الروايات الصحيحة أن الناس تولوا فلم يبق مع النبي (ص) غير أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري يناضل عنه فكان ثباته معه لاجله فيصح ان يقال انه (ص) ثبت وحده يومئذ لان ثباته كان بشجاعته الذاتية وثبات أبي طلحة لانه رآه ثابتاً فوجب عليه ان يناضل عنه بسهامه ولما رآه غيره فعلموا مثل فعله، فقد كان سبب الهزيمة الا كبر اشاعة قل النبي (ص) ولم يلبث أن تراجع الناس اليه لما علموا ببقائه فدهأ أبي وأمي (ص) فالسابقون الى ذلك عدوا من الثابتين معه واختلف في عددهم لان كل راو ذكر من رآه أو علم بوجوده معه فلا تنافي بين رواياتهم، ففي حديث أنس عند البخاري: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (ص) وأبو طلحة بين يدي النبي (ص) مجتب (أي مترس) عليه بمحفلة وكان أبو طلحة

(١) كذا في النسخ الصحيحة واعتمد بعضهم ان أصله حديثو عهد

٤٢٦ بت مع النبي يوم أحد [المحار: ج ١٠ ص ٢٠]

رجلا رابعا شديدا النزع (أي رمي السهم) كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يرمعه بحجة من النبل فيقول «أنزرها لابي طلحة» (قال) ويشرف النبي (ص) ينظر الى القوم فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم (هي أم أنس) وانهما لمشمرتان أرى خدما سوقهما (١) تقترنان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم (٢) ثم ترجعان فتسلانها ثم تحيطان فتفرغانه في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة اما مرتين واما ثلاثا وفي حديثه عند مسلم انه (ص) أفرد في سبعة من الانصار ورجلين من قریش يعني طلحة وسعدا . وفي حديث عائشة عند أبي داود الطيالسي قالت كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : كان ذلك اليوم كله لطلحة قال كنت أول من فاء (أي رجع) فرأيت رجلا يقاتل عن رسول الله (ص) قال فقلت كن طلحة (قلت) حيث فاتني يكون رجل من قومي ويمني وبينه رجل من المشركين فاذا هو أبو عبيدة فاتبيننا الى رسول الله (ص) فقال «دوبكما صاحبكما» يريد طلحة فاذا هو قد قطعت أصبعه النخ . وفي الصحيح التنويه بسعد بن أبي وقاص فانه كان يناضل عنه (ص) وهو يقول له «أرم فذاك أبي وأمي» روى البخاري هذا عنه ، وروى عن علي كرم الله وجهه قال : ما سمعت رسول الله (ص) يجمع أبويه لاحد غير سعد . يعني في الفداء . وروى عن أبي عثمان النهدي انه لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك الايام التي يقاتل فيهن غير طلحة وسعد . أي طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وهما حدثا أبا عثمان النهدي بذلك ، وروى الحاكم عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها قال : لما جال الناس يوم أحد تلك الجولة تمنحيت فقلت اذود عن نفسي فاما أن أنجو واما أن أسشهد فاذا رجل مخمر وجهه وقد كاد المشركون ان يركبوه فملا يده من الحمى فرماه .. واذا بيني وبينه المقداد فأردت أن أسأله عن الرجل فقال لي يا سعد هذا رسول الله (ص) يدعوك فقمته وكأني لم يصبني شيء من الاذى وأجلسني أمامه وجعلت أرمي فذكر الحديث اه من الفتح وفيه اختصار وقد قبله دحلان في سيرته عن المستدرک بزيادة واختلاف في بعض الجمل ومن الزيادة

(١) الخدم جمع خدمة وهي الخلائيل وفيل الخدمة أصل الساق . والسوق جمع ساق
(٢) أي ترسان قرب الماء بمخمة وسرعة على ظهورهما وتسقيان الجرحى بصبه في أفواههم

أن الرجل المحمر لما رمى المشركين بالحصى تراجعوا عنه إلى الجبل ففعل ذلك مراراً. فظاهر هذا الحديث أنه لما جاء سعد لم يكن عنده غير المقداد وما يدرينا أن المقداد لم يكن معه من أول الأمر.

قال الحافظ في شرح حديث أبي عثمان النهدي من الفتح: وعند ابن هانئ من مرسل المطلب بن عبد الله بن حنطب أن الصحابة تفرقوا عن رسول الله (ص) حتى بقي معه اثنا عشر رجلاً من الانصار والنسائي والبيهقي في الدلائل من طريق عمارة ابن غزوة عن أبي الزبير عن جابر قال تفرق الناس عن النبي (ص) يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الانصار وطلحة^(١) واسناده جيد وهو كحديث أنس إلا أن فيه زيادة أربعة فلو أنهم جاؤا بعد ذلك، وعن محمد بن سعد أنه ثبت معه ١٤ رجلاً ٧ من المهاجرين منهم أبو بكر و٧ من الانصار. ويجمع بينه وبين حديث الباب (أي حديث أبي عثمان النهدي) بأن سعدا جاءهم بعد ذلك كما في حديثه الذي قدمته في الحديث الخامس (أي حديث أرم فداك أبي وأمي) وأن المذكور من الانصار استشهدوا كلهم فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء بعدهم من جاء. وأما المقداد فيحتمل أن يكون استمر مشتغلاً بالقتال، وسيأتي بيان ما جرى لطلحة بعدها. وذكر الواقدي في المغازي أنه ثبت يوم أحد من المهاجرين سبعة أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة، ومن الانصار أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وقيل أن سعد بن عباد ومحمد بن مسلمة بدل الأخيرين، فإن ثبت حمل على أنهم ثبتوا في الجملة، وما تقدم فيمن حضر عنده (ص) أولاً فأولاً والله أعلم اه كلام الحافظ في الجمع بين الأقوال ..

فلم مما تقدم أن منقبة الثبات مع النبي (ص) يوم أحد خاصة بمن علموا بموقفه ودافعوا عنه قبل أن يتراجع الجيش وإنما لم تكن للمهاجرين وحدهم بل كان للانصار

«١» هو ابن عبيد الله وملخص تمة الحديث أن النبي «ص» قال لما لحقهم المشركون وهو بسعد في الجبل «ألا أحد لهؤلاء؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله» فقال «كأنت باطلحه» فاستأذنه رجل من الانصار فأذن له فقاتل حتى قتل. فاعاد «ص» القول فلجاء طلحة فقال له كما قال أولاً فاستأذن أنصاري آخر فأذن له، وما زال يعيد ذلك ويحبس طلحة حتى لم يبق معه غيره فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيب أنامله. وفي رواية شلت أصبعه أو أصبعاه وأنه جرح بضعة وثلاثين جرحاً

٤٢٨ مدة اقامته (ص) بمكة بعد البعثة [المنار: ج ١٠ م ٢٠]

الحظ العظيم منهاه وأنه لم يكن مع المهاجرين أحد من بني هاشم غير علي كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين

﴿الموضع ١٢١ — مدة اقامته (ص) بمكة بعد التبليغ﴾

قال الناقد: ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة بعد بدء التبليغ عشر سنين والمشهور انها بضع عشرة سنة اه
ونقول ان هذه العبارة أظهر هفواته وأغربها فما ذكرناه هو المنصوص في كتب الحديث والسير، وما ذكره وادعى أنه المشهور لم يقل به أحد. وإنما وقع الخلاف في الروايات الواردة في مدة اقامته بعد البعثة لا بعد التبليغ بين عشر وثلاث عشرة وجمع بينهما المحققون بأن المدة بين بدء الوحي وقترته وبين الأمر بالتبليغ ثلاث سنين والمدة من بدء الأمر بالتبليغ الى وقت الهجرة عشر سنين، بين ذلك الامام احمد في تاريخه وغيره من المحدثين واعتمده ابن اسحق وغيره من أصحاب السير. فهل بلغ من الناقد الفاضل التعصب لمكة كاهلها أن حفظ المدة من ابتداء الوحي بالرؤيا الصادقة الى وقت الهجرة حفظا إجمالياً نسي تحديدها وصفتها فجعلها بضعه عشر عاما من أول التبليغ، وعلى هذا يحتمل ان تكون سبع عشرة سنة أو تسع عشرة سنة وان تضاف اليها مدة الفترة فتكون ٢٢ سنة او من المشهور الذي يحفظه العوام وصبيان المكاتب في مدارس الناقد الفاضل كغيرها ان النبي (ص) بعث على رأس الاربعين وتوفي في ربيع الاول من السنة الحادية عشرة للهجرة عن ٦٣ سنة، فسبحان من لا ينسى ولا يذهل وقد أضاف الناقد الى هذا الموضع مسألة أخرى فادعى اننا لم نذكر في الكتاب دخول الاسلام في عهد القوة والمنعة بعد فتح مكة بدخول قريش فيه واتباع العرب لهم، ورجا ان نذكر ذلك في المستقبل لانه مظهر مزايا الاصطفاء. ونحجب بأننا ذكرناه بالاجمال، ولا ينسجم هذا المختصر للتفصيل

ونحب أن نعمرح لاختينا الناقد الفاضل بأن كتاب ذكرى المولد النبوي لم يوضع لشرح حديث الاصطفاء ومناقب قريش وبني هاشم فنذكر فيه كل ما يتعلق بذلك من تاريخهم في الجاهلية والاسلام وإنما شرحنا الحديث شرحا لم نطلع لاحد على مثله لبيان حكمة بعثة النبي (ص) في خير بيت من بيوت الامة العربية «لرد بقية»

[المنار: ج ١٠ م ٢٠] المتفرنجون والإصلاح الإسلامي . الإسلام والكفر ٤٢٩

المتفرنجون والإصلاح الإسلامي

٣

الإسلام وأصول الشريعة

قد علم مما تقدم في المقائين الاوابين ان من المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة الإسلامية كلها والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حكام كل قطر مستقل بآرائهم ، وان استمدوا أصوله وفروعه من قوانين أم أخرى مخالفة للمسلمين في عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصلحتهم ، وان من هؤلاء المتفرنجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد دينهم وهدم شرعهم الذي هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الإصلاح ، وان أغرب أحوالهم المتناقضة أن بعضهم يتكلم باسم الإسلام ويدعي امكان الجمع بينه وبين نبدأصوله كلها استهجانا لها بزعم انها وضعت لقوم لم يرتقوا الى الكمال الانساني الذي ارتقى اليه هؤلاء المتفرنجون ، ومن أهم أصوله اباحة السفاح بالبغاء أو اتخاذ الاخذان لكل عذراء تجاوزت السنة الرابعة عشرة أي صارت بليتها مستعدة لهذا التمتع الفسد للصحة الجالب للادواء القاتلة لقلل لنسل الامة المشوه لا دأبها الموقع للعداوة والبغضاء بين أفرادها وأسرها

جهر بهذا صاحب الخطبة أو الرسالة التي نرد عليها في هذه المقالات بما تقدم بيانه في المقالة الثانية مع الوعد بالرد عليه واننا نبدأ الرد بكلمة وجيزة في بيان ما يناسب المقام من تعريف ما يكون به المسلم مسلما ليعلم هل يمكن الجمع بين الإسلام وبين ما جاء به ودعا اليه أحمد صفوت أفندي من حيث هو مسلم وان كنا قد بينا هذا في المنار من عهد قريب لثلا يقع بعض الجاهلين فيما يعده جميع المسلمين كفرا وهو لا يدري فنقول

الإسلام والكفر

ان الإسلام الصحيح عبارة عن الاذهان النفسي والخضوع الفعلي لجميع ما جاء به محمد خاتم النبيين والمرسلين (ص) عن الله تعالى مع الاعتقاد الجازم بأن كل ذلك حق وخبر وان كل ما يخالفه باطل وشر ، سواء كان ذلك الجزم بدليل قطعي أو اقتناهي

أو بغير دليل كما هو رأي الجمهور في صحة إيمان المقلدين. فمن أذعن بالفعل ظاهر أو هو غير مؤمن بما ذكر فهو منافق، ومن اعتقد وأيقن ولم يذعن فهو جاحد مجاهر، كما قال تعالى في قوم فرعون (وجحدوا بها واسقيقتنأ أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وإن الأذعان والخضوع لبعض ما جاء به الرسول دون بعض كفر كالإيمان بيمينه دون بعض، قال تعالى فيمن خالفوا بعض أحكام كتابهم الدنيوية (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) ولذلك أجمع أهل الحل والعقد من الصحابة بعد التشاور على قتال مانعي الزكاة وعدوهم مرتدين عن الإسلام. وليس منه مخالفة بعض الأوامر والنواهي بجهل أو تأول أو جهالة كغلبة غضب أو شهوة مع الأذعان النفسي في عامة الأحوال، والعمل بما سوى هذه الشواهد، فإن الجاهل يرجع إذا زال جهله بالعلم الصحيح، والفاسق يتوب إذا زالت جهالته بذكر الله وتذكر الوعد والوعيد (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) فهذا هو الإسلام الذي لا يعتد المسلمون بدين من خالفه ولا يعدونه منهم، فلا يرثونه ولا يرثهم، ولا يحل لهم أن يزوجه مسلمة منهم، ولا أن يدفنه في مقابرهم. ثم إن ما جاء به الرسول قسيمان قطعي الرواية والدلالة وغير قطعي، وقد بينا حكم كل منهما في تفسير الحزب الماضي من المنار. ومن القطعي المعلوم من الدين بالضرورة أن محمدا (ص) خاتم النبيين ويلز به أن شرع الإسلام باقي ما بقي البشر لا ينسخه شيء، وقد أمر الرسول (ص) من كان في عصره من المسلمين أن يبلغوا من بعدهم، ولم يفرق أحد من سلف المسلمين وخلفهم بين من بلغتهم دعوته (ص) منه في عصره، ومن بلغته من غيره بعده. فمن يدعي الإسلام ويزعم أن ما جاء به الرسول من أحكام الشرع لم يكلف اتباعه فيه كله إلا الذين كانوا في زمنه لأنه كان حاكمهم، وأن من بعدهم لا يكلفون إلا اتباع ما تشريه لهم حكمهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم، وأنه لا فرق بين هؤلاء الحكماء وبين الرسول في كونهم شارعين يجب اتباع أحكام شرعهم في الأمور الشخصية والمدنية والتأديبية على سواء وينسخ المتأخر منهم ما شرعه من قبله من يدعي ما ذكر - فقد جاء بدين جديد معارض لدين الإسلام مع اتحاله لاسمعه

[المآز: ج ١٠ م ٢٠] القياس والاجماع من أصول الشريعة ٤٣١

ولا يعتد أحد بإسلامه إلا من استجاب له وقبل دعوته، كما فعلت فرق الباطنية قد بما وحديثاً فانهم حرقوا أصول الاسلام وفروعه وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، فلم يستد المسلمون باتمحلهم لقب الاسلام في الظاهر بل سموهم بأسماء أخرى كالاسماعيلية والدروز والنصيرية والباوية والبهائية، ولم يبح مسلم سني ولا شيعي ولا خارجي أكل ذبائهم ولا تزويجهم ولا التزوج منهم، لانهم أبعد عن الاسلام من أهل الكتاب الذين يبيح السواد الاعظم من المسلمين أكل ذبائهم والتزوج منهم، فكيف بالتوارث الذي لا يحل بين المسلمين وأهل الكتاب؟ فيجب على قائل ذلك القول وعلى من صدقه أن يرجعوا عنه إذ قد قالوه عن جهل بحقيقة الاسلام، وعسى أن يكونوا قد فعلوا، فنحن أحرص الناس على عدم اخراج أحد ينتمي للاسلام من حظيرته، وإنما نبين الحقيقة عند الحاجة في نفسها، ولا نحكم على شخص معين بها ولا بلوازمها، وإنما نمين الأشخاص على الحكم على أنفسهم، وعلى معرفة حكم الله فيمن يعرفون حالهم، سواء كان في مسألة الشارع والتشريع أو في غيرها. ومن الأصول المجمع عليها بين المسلمين أن لا حكم لغير الله بعد ورود شرعه، وسيأتي الكلام في ذلك ومن كان في قلبه شبهة من ذلك القول الناقض لهذا الأصل فيجب عليه أن يبحث حتى يزِيلها. ويطمئن قلبه بوجوب اتباع الرسول (ص) في جميع ما ثبت عنه من أمر الشرع وسرد الشبهات التي ذكرها أحمد أفندي صفوت في بحث الكتاب والسنة بعد هذه المقدمة التي وفيها بوعدنا في آخر المقالة الثانية. نبدأ بنقل كلام أحمد أفندي صفوت على الترتيب الذي ذكرناه في تلك المقالة فنقول:

القياس من أصول الشريعة

القياس ليس من الأصول التي أجمع عليها المسلمون بل الفقهاء فيه فريقان أحدهما يثبتها وهم الجمهور ومنهم المقتصد فيه والقاتل بأنه ضرورة تقدر بقدرها، ومنهم المقتصد فيه والمبالغ في التوسع، رؤنيهما ينكره وهم الظاهرية. وقد يناحجج الفريقين وتحقيق الحق في ذلك في تفسير قوله تعالى (١٠٤:٥) يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكن تسؤكن الآية (١) والقياسيون لم يقولوا بالقياس إلا بما ظهر لهم من (١) تراجع في المجلد ١٨ من المآز وفي ج ٧ من التفسير وهو بحث يستغرق ٧٥ صفحة

٤٣٢ [الاجماع من أصول الشريعة (المنار: ج ١٠ م ٢٠)]

الدليل تخليه من الكتاب والسنة. والظاهرية لم ينفوا القياس الا لا اعتقادهم أن نصوص الكتاب والسنة وقواعدهما مفضية عنه

وأما غلاة المتفرنجين فانهم يردون القياس لانه مبني على كتاب الله وصحة رسوله لا لانهم يستغنون عنه بنصوصهما كإظهارية من علماء السنة ، بل هم يرغبون ههنا بانذات وعنه بالتبع لهما ، ويستبدلون بأصولهما وأحكامهما أحكاماً أخرى يقيسون عليها ، صرح بذلك أحمد أفندي صفوت في خطابه كما نقناه في المقالة الثانية عن ص ٢١ من رسالته ، قال

« أما القياس فنصرف النظر عنه لاننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الاصول الاخرى » أي الاصول التي تشرعها لهم حكوماتهم كاصل الحرية الشخصية في القانون المصري ، وتقدم بيان ذلك والتشيل له في المقالة الثانية ، ولا نطيل القول في هذه المسألة لانها غير مقصودة لذاتها ، ولان رده القياس الفقهي ليس للدليل شرعي ولا عقلي على فساده ولا لكونه ينافي الحق والعدل ، وسيأتي له ذكر في الكلام بعد .
الاجماع من أصول الشريعة

قد اختلف علماء أصول الفقه الاسلامي في الاجماع الاصطلاحي الذي عرفوه بقولهم « هو اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته على أمر من الامور » فقال بعضهم بعدم امكانه وبعضهم بعدم امكان العلم به وبعضهم بعدم امكان نقله الى من يحتاج به وبعضهم بعدم كونه حجة ، والامام أحمد والظاهرية لا يحتجون الا باجماع الصحابة ، ويستدل العلماء الذين يحتجون بالاجماع الاصطلاحي - وهم جمهور سائر المذاهب - بآيات من القرآن وأحاديث فهموا منها اثبات حجية الاجماع أدناها مرتبة في الرواية حديث ابن عمر « لن يجتمع أمتي على الضلالة » كما رواه الطبراني في الكبير عنه ، أو « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ، ويد الله على الجماعة ، ومن شذذ الى النار » كما رواه الترمذي عنه ، وقد نوزعوا في دلالة ما استدلوا به على اجماعهم الاصطلاحي ، وقد حررنا بحث الاجماع وما يقوم الدليل عليه منه في تفسير قوله تعالى (٤ : ٥٨) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وبيننا هناك ان أصول الشريعة لاسلامية أصح

[المنار: ج ١٠ م ٢٠] رفض المتفرنجين الاجماع من أصول الشريعة ٤٣٣

وأعدل وأفضل من جميع أصول الحكومات الشوروية التي بسمونها في عرف هذا العصر بالنيابية وبالديمقراطية (١)

وأما غلاة المتفرنجين فيردون اجماع المسلمين من الصحابة وغيرهم بغير علم ولا فهم لانهم يربعون عن كل ما هو اسلامي قد بما كان أو حديثا الى قواعد تشريعهم الجديد الذي نذكر بعض مسائله في الاحكام الشخصية من هذا البحث لا تخافة لاجماع للمدل أو لمصلحة شأنهم فيه شأنهم في القياس كما تقدم آنفا

قال استنهم أحمد افندي صفوت في خطابه الممهور: [وأما الاجماع وحببتهم فيه حديث « لا تجتمع أمتي على ضلال » (٢) فقسمه الى قسمين اما اجماع العلماء أو حكم ولي لام السابق وبحسب قواعد نظامنا القضائي لا تقيد برأي مهما أجمع عليه الشراح الى أن نوافق على اجماعهم] اه فجعل حكم ولي الامر السابق داخلا في معنى الاجماع وما هو منه في شيء ، وفسر اجماع العلماء بما يتفق عليه شراح كتب الفقه من الآراء — كما هو المتأد من عبارته — وهذا الاطلاق باطل كما علم من تعريف الاجماع الذي ذكرناه آنفا . ثم انه زعم ان المتأخرين هم الذين جملوا الاجماع حجة رضا منهم بحكم السابقين (قل) « ونحن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » فهو بعد قوله ان علماء المسلمين يستدلون على حجية الاجماع بالحديث الذي ذكره ولم ينزع في دلالة على ذلك يرفسه بصفته مسلما ويدعى أن المتأخرين وحدهم هم الذين جعلوه حجة . وذلك دليل على انه لا يعرف معنى الاجماع ولا تاريخه ، وانه لا يفهم معنى ما يقوله وما يكتبه بالعربية ، دع ما فيه من الخطأ والغلط اللغوي ، فهو اذا لا يرفض شيئا من أصول الشريعة — دع فروعها التي هي تبع لها في الرفض — لانه لا دليل عليه ، ولا لأن دليله معارض بما هو أقوى منه ، ولا لانه غير مطابق لمصلحة المسلمين في هذا العصر ، وان كان هو وأمثاله يزعمون ذلك بغير علم ، بل لانه يستبدل بما شرع الله وبكل ما يبنى عليه ما يشرعه الناس وان اختلف في كل قطر اسلامي باختلاف أفكار الشارعين أصحاب

(١) راجع ذلك في مجلدي المنار ١٣ و ١٤ وفي الجزء الخامس من التفسير

(٢) صوابه ضلالة كما تقدم آنفا

٤٣٤ الآراء المصرية في الاجماع والقياس [المنار: ج ١٠ م ٢٠]

السلطة والنفوذه بحيث يكون للمسلمين عشرات من الشرائع في أحكام الزواج والطلاق وما بينهما وفي سائر الأحكام حتى يخرجوا عن كونهم أمة واحدة كما سيأمر الله تعالى . ومن يرفض أصول الشريعة الإسلامية وجميع أحكام أهلها من المتقدمين والتأخرين لما ذكرنا من العلة كيف يبالي بتفريق شمل الأمة وتقطيع جميع الروابط والمقومات التي كانت بها أمة؟ ومن كان مكانه من الإسلام والعلمية صالح أهله ما ذكرنا فهل يستبعد منه أن يهد هذا الفساد إصلاحا وطنيا كما نسمع من أفواه هؤلاء المتفرنجين كثير أو يرى مثله فبما يكتبون أحيانا؟ قلنا إن فريق الغلاة من هؤلاء المتفرنجين يرفضون الاجماع وهو اتفاق علماء الشرع المستقلين من المسلمين لأنه اجماع المسلمين ، وما ذاك إلا أنهم مرقوا من دينهم ولا يحبون أن يبقى لهم به صلة ما بل يحاولون افساد عقيدة كل من استطاعوا فتنه من أهل هذا الدين كما يفعل أمثالهم من دعاة الأديان أو دعاة الاتحاد قلنا أنهم يرفضون القياس الإسلامي أيضا لأنه يستند على نصوص الكتاب والسنة التي لا يدينون بها ولكنهم يجيزون القياس على ما يستحسنون من نصوص القوانين الوضعية . كما أنهم يستحسنون العمل بما يتفق عليه علماء هذه القوانين من أي ملة كانوا ، ومن قبل رأي الأفراد من قوم فهو أجدر بقبول رأي الجماهير منهم وقلنا أنهم لا يرفضون ذلك بدليل هتلي ولا شرهي فيكون موضوع المناقشة بيننا وبينهم كما وقع بين من قبلنا من سلفنا كالظاهرية والقياسية ونفاة الاجماع الأصولي هلى اطلاقه ومثبته وكما يقع الآن بين المستقلين في الفهم منا .

وأما غير الغلاة المرتدين من المتفرنجين فيوجد فيهم من يجد في صدره حرجا من الفقه الإسلامي إذ يرى كثيرا من فروعه غير معقولة أو غير عادلة ويرى أن قائلها لا حاجة لهم عليها غير أقبيسة لهم يعتقد أنها آراء لهم أو مفهومات لعبارات كتب مذهبيهم لا يظهر لها أصل من نصوص الكتاب والسنة ، أو دهورى اجماع لم يثبت باتفاق المحدثين والمؤرخين هلى نقله ، ولا حاجة على جملة كالنص الذي لا سبيل الى نقضه ، ويوجد فيهم من قد ينكر كون القياس حجة ، أو من ينكر كثيرا مما ذكرناه مسالك العلة ، ومن ينكر حجية الاجماع أو إمكانه أو إمكان العلم به ، وأكثر منهم من ينكر كونه حجة دائمة باقية كالكتاب والسنة ، وكون آراء الفقهاء الاجتهادية

[المنار: ج ١٠ م ٢٠] انتقاد كتب الفقه ورأيها في الاجماع ٢٥

شرهاً ثابتاً يجب العمل به وإن ظهر لنا من النصوص خلافه ، أو ثبتت بالتجربة ضرورة في مصالح الأمة الشخصية أو النزلية ، أو شئونها الاجتماعية والسياسية ويوجد فيهم وفي غيرهم من مستقلي الفكر من يظنون بادي الرأي أن أكثر أحكام الفقه القضائية والسياسية آراء للمجتهدين إن كانت كلها أو جلها موافقة للمصلحة في الزمن الذي وضعت فيه فقد صارت غير موافقة لمصلحة المسلمين أنفسهم في هذا الزمن وفي كل فريق ممن ذكرنا مقتصد في نقده لهذا الفقه ومُسرف ، ومستدل ومقلد ، ومن المستدلين الواسع الاطلاع ، والحافظ لقليل مما ينتقد من الاحكام ، ومنها بعض الاحكام الشخصية التي ألفت الاجبة المهودة لاجلها . ومن يراجع مجلد المنار الرابع يرى فيه مناظرة في نقد الفقه الاسلامي بين كاتبين من أشهر الكتاب المعتدلين وقد مر هلى أول بحث حضرته بمصر في هذه المسألة زهاء عشرين سنة وكان في دار سعد زغلول (باشا) ولم أنس كلمة قالها ثم قاسم بك أمين لمن ذكر في الامثلة المتقدمة مسألة الربا وهي : ان نحريم الربا منصوص في القرآن وكل مانص في القرآن يجب أن يؤخذ بالتسليم من غير بحث ، وإنما نبحت في أقوال الفقهاء . اهـ وبعد هذا بسنة أو سنتين زرت الأستاذ الامام في يوم هيد فالفيتة في مكتبته داخل الدار مع أحمد فتحي زغلول (باشا) محتجبا عن جماهير المهتئين الذين يجلسون في حجرة الاستقبال ريثما يشربون القهوة وينصرفون ، فلما جلست اليهما وجدتهما يبحثان في مسألة الاجماع ورأيت الأستاذ يوافق جليسه في بعض ما ينكره من مباحث هذه المسألة ، فقلت لهما اني أفهم في الاجماع معنى آخر غير المشهور في كتب الاصول وهو اتفاق أهل الحل والعقد كلهم أو أكثرهم مجتهدين هلى ما لانص عليه من الامور المتعلقة بمصالح الأمة القضائية أو السياسية سواء كان في استنباط الاحكام لها أو في تنفيذها وأرى ان ذلك ينطبق على ادلة الاجماع ويوافق عمل السلف كجمع الخلفاء الراشدين أهل العلم والرأي للتشاور فيما لم يرد فيه نص من الكتاب ولم تجر به سنة نبوية ، وفي مباحة الخلفاء . فقال الأستاذ ان هذا المعنى صحيح لا اشكال فيه ولا اعتراض عليه واستحسنه أحمد فتحي غاية الاستحسان . وقد بينت هذا المعنى بعد ذلك بما كتبت في المقالة الثالثة عشرة وهي المقالة الاخيرة من مقالات (محاورات المصلح والمقلد) في بحث الوحدة

٤٣٦ علاج مفاسد التفرنج العلم الاستقلالي [المنار: ج ١٠ م ٢٠]

الاسلامية في السياسة والقضاء المنشورة في مجلد المنار الرابع وقد اطلع عليه الاستاذ الامام يومئذ فأعجبه، ثم زدته بيانا في تفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) المنشور في أواخر المجلد الثالث عشر وأوائل المجلد الرابع عشر من المنار بعد ان نقلت من الاستاذ الامام قوله انه اهتدى اليه بعد البحث في المسألة والتفكر فيها هدة سنين، وانه كان يظن انه لم يسبق اليه حتى رأي النيسابوري صرح به في تفسيره. وقد ذكرت هنالك ان النيسابوري أخذه عن الرازي وزاده بياناً ما أدت قولها ووضحته بكلام السعد التفتازاني في مسألة انعقاد المباينة بالإمامة. وقد حققت في المسألة ان الاجماع في الاسلام في معنى محاسن نواب الامة في القوانين الافرنجية الا انه أكل منها. والقياس وهو ركن الاجتم'دلا لافرادهم، هو دعدهم أيضا يجري عليه القضاء وركلا، الدعاوي وشراح القوانين، فاقوم قد اقتبسوا من أصول الفقه الاسلامي وفردعه ما ارتقت به قوانينهم ونحن أهملنا وقصرنا ورضينا بالجهل الذي هو التقليد حتى صار أهل شرعنا ينفرون ويفرون منه ويقلدون الافرنج أو يجتهدون في قوانينهم، ولو لم يحرمهم علماء السوء الجامدون وأمراء الجهل الظالمون من الاجتهاد في شرعهم، لما فروا الى شرائع الاجانب وقوانينهم، ألا انه لا علاج لردة بعض المرتدين، ولا بداع كثير من المبتدعين ولا انصاف سائر المتفرنجين الذين لا يزالون مؤمنين، الا سلوك سبيل الاستقلال في فهم الشرع، وبيان مكانته من المساواة والعدل، وموافقته لمصالح الناس، من جميع الاجناس، وشرح معنى قولنا انه أعظم مقومات هذه الامة تبقى ببقائه ونزول بزواله، وتفصيل ما يتبع ذلك من مقاصد الذين ربوا هؤلاء المتفرنجين على كراهته، وهم لا يشعرون بعملة ذلك ولا بما قبلته، فاذا ظن صنف الفقهاء والمتكلمين منا على جهودهم، وبجواب تقليد ما اختاره المنادون المتأخرون الذين يعالجون مصنفاتهم، فيبخلهم هؤلاء المتفرنجون وأهوائهم على هدم ما بقي من شرعهم ودينهم، بل يجعلونهم أهوانا لهم دلي هذا الهدم، على جهل بذلك أو على علم، وهما نحن أولاء نرى مبدأ تشريع جديد، ووضع طريق يلبس بتليد، يصبح بجانبه مثل هذا الصوت الشديد، الذي أوجب هذا الرد العتيد، وقد رأينا من أصحاب المائم من نهر ذلك القصد الخفي، ولم نر منهم من أنكر هذا الصوت الجلي فأين العبرة على الدين؟ انال تراها تظاهر على أشدها في تضليل من يدعوا الى هداية

الكتاب والسنة ولم نزلها أثر في مخططة من يدعوا إلى ترك كل من الكتاب والسنة فإن كان ذنب الأول أنه يؤثر الاجتهاد على التقليد، فثاني يهدم كلام من الاجتهاد والتقليد، وزال اعتذار الجامدين على التقليد بأن كلمة الدهماء مجتمعة عليه، فصار سببا للتفرق في الدين والارتداد عنه وإذا كان الاجماع - وهو ما يقرر باجتهاد جماعة أهل الحل والعقد، - والقياس - وهو ما يستنبطه بالاجتهاد أفراد أهل العلم، هما أرقى ما اقتبس منا الافرنج، وسبقنا اليهما ثابت بالنقل والعقل، وظهر أنه لا علة لرفض من يرفضهما من المتفرجين المارقين، الا كونهما من هداية الدين، وتقيدهما بنصوص الكتاب والسنة، وكونهما من آثار أئمة هذه الامة، فننتقل إلى الكلام مهم في أصلي الكتاب والسنة، لنبين هل يندونهما لذاتهما، أم لعل يستكرونها فيهما، وموعدهنا في ذلك المقالة الرابعة

الشيخ عبد الكريم سلمان

في أثناء شهر شعبان من هذا العام فجع القطر المصري بعالم من أفهم علمائه، وأدب من أبرع أدبائه، وكان من أبلغ كتابه، وقاض من أعدل قضائه، أحد أعضاء النهضة لاصلاحية الجمالية (الشيخ عبد الكريم سلمان) تفجده الله برحمته

وله الفقيه في قرية (جنوباي) إحدى قرى مديرية البحيرة من أبوين كريمي الاخلاق، أما الوالد فالباني الأصل، وأما الوالدة فحريية المحتد، وكان بين بيت وبيت الاستاذ الامام تعارف أهل الجوار، فلما جاؤا في الازهر تعاشرنا معاشره الاهل لا الطلاب، ولما خرجا إلى ميدان العمل تعاونا تعاونا أخلاء الاصحاب، المتفقين في الآراء والمقاصد والآداب، وعاشا معا متوادين موادة اللذات والأتراب، ثم ما فرق الموت بينهما مدة التفاوت في العمر حتى جمع بينهما تحت التراب، فمسي أن يكون هذا مصليا لذلك المجلى إلى دار الثواب، وأن يجمعنا الله بهما في دار الكرامة يوم المآب

لعل الشيخ عبد الكريم كان أذكى ذهنا من الاستاذ الامام، ولكن هذا فاقه فغاته في الجهد والاجتهاد، وتسديد سهام الارادة إلى كل مراده والعادة أن أكثر الاذكياء يكونون قليلي العناية والاجتهاد في الاعمال العقلية التي توكل إلى رأيهم واختيارهم

٤٣٨ الشيخ عبد الكريم سلمان [المنار: ج ١٠ م ٢٠]

(كطلب العلم في مثل الازهر) والسبب الخفي لذلك انهم لا يشمرون بما يشمر به من دونهم في الذكاء الى التعب في التحصيل ، الا من كان له من نفسه حافز يحفزه الى مقصد عظيم ، وكان الاستاذ الامام من هؤلاء . فانه طلب العلم بباعث ديني قوي نماه في قلبه سلوك طريق التصوف قبله كما فصلناه في ترجمته فكان وهو بسكن مع الشيخ عبد الكريم في حجرة واحدة يقضي جل ليلته في المطالعة ويحاول الشيخ عبد الكريم هو وغيره أن يحملوه على مشاركتهم في سمرهم وما يلهمون به فيه فيعييهم ذلك منه ، ولو كان الشيخ عبد الكريم مثل جده وعزيمته امكن للامة منه نايضة طار حيتها في الاقطار ، وبلغ من الشهرة ما تبلغه شمس النهار ، على أنه مشى الهويينا فسبق الاقران ، فكان الاستاذ الامام البدء من مريدي السيد جمال الدين وكان هو الثنيان (١)

كان أول عمل تولاه الاستاذ الامام هو رئاسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وإدارة المطبوعات فكان الشيخ عبد الكريم عضداً الاول في قلم محرريه ثم كان خلفه بعد اعتزاله العمل باعتقاله مع زعماء المرابيين إثر احتلال الانكليز لمصر ، فوضع اسم (عبد الكريم سلمان) في ذيل الجريدة موضع اسم (محمد عبده) وظل في عمله هذا الى أن ألغى القسم الادبي من الجريدة واستغنى عن عمله في المطبوعات بعد عودة الاستاذ الامام من منفاه

ولما شرع الاستاذ بعد استقراره بمصر في اصلاح التعليم في الجامع الازهر كان الشيخ عبد الكريم ساعده الايمن في ذلك من أول العمل الى آخره ، وهو هو مؤلف كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر - في ثشرين سنين) كتبه عقب استقالة ثمانين من مجلس ادارة الازهر وطبعناه ونشرناه قبيل وفاة الاستاذ الامام ، بعد اطلاعه عليه واجازته له ، ومنه يعلم قيمة عمل الشيخين في اقامة هذا الركن العظيم من أركان اصلاح الاسلامي ، وعبارته تشهد لما كانا عليه من الاخلاص والتواضع والبعد عن التبعج والدعوى فكفى الشيخ عبد الكريم فضلا وكرامة ان كان عشيرا وديدا للاستاذ الامام في أول نشأته العلمية وعضوا عاملا معه في النهضة الاصلاحية الاولى التي توسل اليها

« ١٩ » تطلق الرب كلمة البدء على السيد الاول في السيادة والتقدم والثنيان على التالي له في ذلك قال الشاعر في تفضيل قومه على غيرهم
نيسانتا ان اتاهم كان بدهم وبدهم ان اتانا كان نينا

بإدارة المطبوعات ، وفي الحركة الإصلاحية الثانية التي توسل إليها بإصلاح التعليم في الأزهر، وتفصيل ذلك في سيرة الاستاذ الامام. وقد تخرج مع الاستاذ الامام على يد السيد جمال الدين كثير من الازهرين في الافكار والكتابة والخطابة كمن في مقدمتهم ابراهيم بك اللقاني، واشتغل معها في المطبوعات أفراد منهم أشهرهم من الاحياء سعد باشا زغلول وابراهيم بك الهلباوي ومن المولى سيد افندي وفاء، ولكن ترك كل أولئك زي العلم الديني، واستبدلوا به الزي الافرنجي النماني، فكان أكثرهم بعد الثورة المراية محامين في المحاكم الاهلية، ولم يجد الاستاذ الامام من يشتغل معه في الإصلاح بعد العودة الى مصر الا من حافظ على الزي الازهري وهو الشيخ عبد الكريم . وبهذا يعلم تأثير تغيير الزي في الشؤون الاجتماعية

بعد خروج الفقيد من خدمة المطبوعات جل عضوا (قاضيا) في المحكمة الشرعية العليا فكان فيها قدوة صالحة في تحري المدل. والاستقلال في الرأي، ومن آيات ما وصفناه به من شدة الفدكاء انه ولي القضاء بمذهب الحنفية في المحكمة العليا الاستثنائية وهو شافعي لم يمتحن على الاعمال والاحكام القضائية في المحاكم الابتدائية فلم يمجزه أن يضرب مع أكبر القضاء بكل سهم، ويكون سابقاً الى احابة الحق والعدل في الحكم، وكان له من الشهرة في المحكمة ما هو جدير به. نعم انه كان قد سبق له دراسة بعض كتب الحنفية في الفروع والاصول كما شهد له الشيخ عبد القادر الرافي وغيره من كبار قضاةهم ولئن وجد في زمن الفقيد أفراد يساهمون في فضيلة استقلال القضاء، وأحاد يجارونه في حبة الادب والانشاء، وآخرون يسبقونه بالتوسع في بعض العلوم، أو الاغراب في بعض شوارد الفنون، فقد كاد يكون نسج وحده في أفضل ما يتفاضل فيه الناس، بمد ما يتعلق بالباطن من معرفة الله، وكال الايمان والاخلاص، أعني مكارم الاخلاق، وما يلزمها من محاسن الاعمال والآداب، فقد كان ممتازاً بالوفاء لاخوانه والاخلاص لاخذانه وخلاته، والمروءة والنجدة في قضاء حاجات قاصديه، وان لم يكونوا من أصحابه ومحبيه، وأما أصحابه فكان أسبقهم الى عبادة مريضهم، وتشجيع مبهم، وإصلاح ذات بينهم، وتهنئتهم بكل نعمة تحدث لهم، وكل من بما ينافر من بلد الى آخر العربيين متغاضين بالتأليف بين متباغضين، وازلة الجفاء بين أمرتين.

وكان له من الحذق في الاستعتاب ما يسئل به السخائم ، ومن اللطف في العتاب ما يستخرج به الحفائظ ، فلا تكاد تتعاصى حبة على رقبته ، أو تأبى هفوة أن تنحل بنفسه ومن سوء حظ المسلمين ان أسرع اليه اليأس من صلاح حالهم ، فأقدمه في آخر عمره من مساعدة أعمال الإصلاح العام لهم ، وقد كان الاستاذ الامام عناء بقوله لي في أول العهد بمقدمي الى مصر : ان لي أملا كاملا وهنا رجل آخر له نصف أمل . ثم لم يلبث هذا النصف أن ذهب به وقائم الايام ، حتى كان يصرح بذلك ويحتج علي وعلى الاستاذ الامام ، قائلا ستري ما ينتهي اليه أملكما في هذه الامة الميتة ، وما يلفظه اصلا حكما من هذه الشعوب الفاسدة ، وله كلمة في هذا المعنى قلها لاستاذنا الشيخ حسين الجسر ، ألبسها كهادته ثوب الدعابة والهرزل ، وقد كنا بدار الاستاذ الامام ، نتحدث فيما أشيع من رغبة الامة اليابانية في التدين بدين الاسلام ، قال الشيخ حسين الجسر : اذا يرجى ان يعود الى الاسلام مجده ، قال الفقيد دعهم فإني أخشى اذا صاروا منا ، أن نفسدهم قبل ان يصلحونا . ذكرت هذا في ترجمة الرجل لما فيه من العبرة المحزنة . والى الله المشتكى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كان الفقيد طويل القامة عظيم الجثة قوي البنية فاعتراه منذ سنتين مرض في المدة طال عهده وما تقه منه الا وقد ذهب سمه ، وهزل بدنه ، وضمف قلبه ، حتى توفي فجأة بسكتة قلبية ، وكان يعزى أصدقاؤه آل محمود في بلدة الرحمانية ، فقلت جسده الى مصر ، وصلى عليه في الجامع الازهر ، ودفن بجوار صديقه الاستاذ الامام ، تغمدهما الله بالرحمة والرضوان ، وقد حضر تشييع جنازته واليالي مآتمة من لاجمعي من العلماء والوجهاء ووفود البلاد من الوجهين البحري والقبلي ، مظهرين لمكانته العالية من أنفسهم ومميزين لنجمله المذهب حسان افندي ، والفقيد مقالات كثيرة في موضوعات شتى متفرقة في الصحف — كالوقائع المصرية ومجلة الآداب وجريدتي المؤيد والمقطم ، ولكن يقل فيها ما هو موقع منه أو معزى اليه ، وفي الاستطاعة جمع طائفة كبيرة منها ان وجد من يعنى بذلك . فمسي أن يأذن نجمه بذلك لمن شاء ، جاعلا له حق طبعه ونشره ، لاحياء ذكرى والده وحفظ أثره .

حسن جلال باشا

كان حسن باشا جلال المتوفى في ١٨ جمادى الأولى الماضي من رجال العلم والعمل والفضيلة ومكارم الاخلاق الإسلامية، ففي سيرته من العبارة وحسن الاسوة ما يتوخى المنار نشره، ولم يكن تركنا لرحمته عقب موته نعدداً كثيراً تراجم أكثر من يموت من أرباب المناصب والرتب العلمية والمظاهر النبوية العارفين بما يتوخاه المنار، وإنما تركناها لان مانعها من سيرته قليل مجمل، وكان محمد توفيق افندي أبوطالب رئيس كتاب محكمة مصر الاهلية قد أخبرنا بأنه شرع في كتابة ترجمته له، فانتظرنا صدورها للاخذ عنها وأكثر ما نرويه خلاصة منها ولد الفقيد بمصر لاربعم خلون من شعبان سنة ١٢٧١ ولما بلغ سن التعليم أدخل في مدرسة خليل آغا فكان لأول من طلبتها في جميع فصولها فهد له ذلك دخول مدرسة دار العلوم التي أنشئت في سنة ١٢٧٨ بطريق الاستثناء لفقده بعض شروطها، فعني وجد الى ان حصل ما كان ينقصه منها، وفي سنة ١٢٩٢ جعل مدرسا بالمدرسة التحضيرية بعد أداء الامتحان المشروط لذلك، وفي سنة ١٢٩٥ اختير لتدريس اللغة العربية لابناء فاضل باشا فرافقهم الى سويسرة وتعلم فيها اللغة الفرنسية، وكان يتردد فيها على وزير مصر الشهير مصطفى رياض باشا دون جميع من هنالك من المصريين (اذا كانوا يجتنبون لقاءه لمغاضبته للخديو اسماعيل باشا) فلما اعتزل اسماعيل وولي توفيق وعاد رياض الى وزارة مصر أرسل الفقيد الى أوربة لتحصيل علم الحقوق على نفقة الحكومة فقال شهادة الحقوق وعاد الى مصر فخدم القضاء مساعدا للنيابة فقاضيا فوكيلا لبعض المحاكم فرئيسا لعدة منها آخرها محكمة الاسكندرية تولاها عشر سنين ونصف سنة فستشارا في محكمة الاستئناف وكان آخر راتبه الشهري فيها مائة جنيه. ومن خدمته للعلم انه كان عضوا في المجلس الاعلى للآزهر والمعاهد الدينية وعضوا في اللجنة الادارية لمدرسة القضاء الشرعي

هذه السيرة الرسمية التي تتلمع لتحصيل مثلها اعناق أكثر المتعلمين ليست مما نحفل بذكر أصحابها في المنار وإنما فضل الرجل عندنا في سيرته العملية وأخلاقه وآدابه الدينية التي فضل بها الحم الفقير من أمثاله رجال القضاء، ومن يعد فوقهم في المنصب والجاه كالوزراء والأمراء، كان الرجل محافظا على أوامره دينه ونواحيه من سن الصبا الى سن الشيخوخة لم يفتن

في شبابه بمصاصي الشهوات، ولا في كهوله بمنكرات العظمة والكبرياء، ولا في شيخوخته بدناءة الطعم والحرص على المال، ولم تنزل الإقامة في البلاد الأوروبية، ما نشأ عليه من الآداب الإسلامية، ولم تفسد عليه عفته وورعه، ولم تحوله عن زيه الملي ولأعادته، حتى إنه كان يتورع عن أكل ذبائح النصارى لكثرة الملاحدة فيهم، ويذهب من محل إقامته إلى جزائر يهودي في مكان بعيد يشتري منه اللحم ويأكله لنفسه.

وروى أبو طالب عن بعض عشرائه من شبان المصريين طلاب علم الحقوق في فرنسا أنهم أفروا به امرأة بارعة الجمال لتراوده عن نفسه، وجملوا لها عشرة جنبيات إن هي فتنه عن عفته، فجاءت حبرته متبرجة بما استطاعت من زينة، وطرقت الباب ففتح لها، وسألها قبل الدخول عن حاجتها؟ فضحكت ضحكة دل ومداعبة، ورأت رأرة مفازلة وملاعبة، وحاولت الدخول عليه، ومدت يدها إليه، فدفعها بنفس وأغلق دونها الباب، فرجعت خائبة تجمهر بالهجر والسياب.

ومما رواه من سيرته أنه كان أبر الناس بوالديه وأوصلهم لرحمه، وأحفاهم بأخوانه وأصدقائه، وأشد هم غناية بكل من له عهد وصلة به، مرضت والدته بمصر أيام كان مقبياً في الإسكندرية رئيساً لمحكمتها فكان يعودها كل أسبوع حامل معه ملايات فراشها كاملة النظافة والكي ويتولى ترتيب ذلك وفرشه بيده، وكان وهو يطلب الحقوق أوبرية يرسل إليه في كل شهر جزاً من راتبه. وبلغني أنه كان ينفق ثلث الراتب ويرسل إليها الثلث ويجعل الثلث الثالث للكتب، وما زال محباً للكتب باحثاً عن نفائسها المخطوطة طول عمره، وكنت أراه في أواخر عمره يختلف إلى صغار باعة الكتب ويجلس عندهم بائناً عما عساهم التقطوه من بعض التراكات، أو أصحاب الحاجات.

قال أبو طالب: ركان وفياً بالعهد فقد عرف في (قذ) يوم، لي القضاء فيها بدلاً مصرياً متوسط الحال كان يشتري منه حاجته فلما هاد إليها وهو مستنار سأل عنه فقيل له إن حاله تضرعت ونجارته كسدت وهو الآن يبيع المراوح فلم يمنعه ذلك من زيارته وتعهده شأنه كلما ذهب إلى قنا، ولا تسأل عن اغتباط ذلك البدال بمثل هذه الزيارة قائماً كانت أشهى إليه من رد ثروته بل شبابه عليه اه.

وأفضل ما يؤثر من مناقبه مبالغته في الاستقلال والمدل في القضاء حتى أنه لم يكن يقبل

شفاة ولا حديثاً في قضية رفعت اليه ولا في ترقية عامل تحت رياسته كما أنه لم يكن يكلم أحداً من أصدقائه القضاة ولا غيرهم في مثل ذلك. وقد اشتهر بذلك حتى لم يكن أحد من أقرائه ولا من فوقه في المناصب يطعم أن يكلمه في شيء من ذلك، وله مواقف ووقائع تؤثر في ذلك ذكر بعضها أبوطاب. ويمجني ما قاله في إثر هذه المناقب، وهو: «واقعت أنفقت التوسع في حياة الفقيد القضائية وذكر الحوادث التي اتفقت له دلة على ما بلغ ما كان عليه من الفقه في القضاء والمعدل والشجاعة مكنتها بأن المعاصرين أحاطوا بكل هذه الأحوال ويلوح لي أن كتابة تاريخ المعاصر بالتفصيل فيه من الصعوبة ما لا يظهر لأول وهلة ولذلك قصرت دلي هذا الاماع اليسير

«وما كنت لا طعم أن يكون كل مصريين كحسن باشا جلال فهذا من المحال قطعاً ولا أرجو أن يحزن واحد في الأنف كذلك بل الذي آمله أن يتصفح هذه الوراقات بأمان وأن لا يستعصروا شأن الحوادث التي سقتها هنا مثلاً من أخلاقه عسى أن يحثني حذوه ويهتدي بهديه نقر من الأمة ليعملوا كما عمل اهل الله يمش فيها الحياة الحقيقية التي لا يظهرها الا مثل هذه الاخلاق فان الذي يمش الآن بين ظهراني المصريين لا يمكنه أن يتجاهل العلماء المديدن في كل علم وفن، فصر ايت قبرة من هذا النوع، اذ للقضاء رجال والطب آخرون والهندسة والزراعة مثلهم ولكل مطلب من مطالب الحياة قوم بشغلهم شأنه، وما ينقص المصريين الاشياء واحد وهو الاخلاق، فان ذوي الاخلاق الفاضلة قليلون بالنسبة لمجموع الأمة ومدارسها وما هدها، واني على قدر معلوماتي القاصرة لا أرى باباً لهذه الاخلاق الا النفس التي بين جنبي كل حي من الأمة فاهله الا أن يروضا على الفضائل التي شاعت في الكتب وتداولتها السن الصغار ونقلت عنها عقولهم، فان أصغر كتاب مدرسي فيه بيان لاصول الفضائل، ولو مرت النفوس مرافقاً حقيقاً عليها لتغيرت الاحوال تغيراً عظيماً في وقت قصير. أما ما نعيش الآن فيه من حيث الاخلاق وآداب الماملات فما يسجزهن وصفه أكبر كاتب بليغ، واني ليحزنني جداً أن أجهل مصدر هذا الداء الويل الذي تنشى قشياً مزعجاً فان ابن عشر سنين يبرز في النفاق والمداينة على ابن السنين، فمن تقدم فيها ولكنه تقدم معكوس، لان كل من اتهم

هذا التفاق هد ظريفا كيسا، وقد عم جهود الاحساس والعواطف كثيرا من هذه الطبقات في هذه الامة ذات المجد القديم والتاريخ العظيم التي تحتاج الى شيء بسيط حتى تكون من أرقى الامم وذلك باعتدال أبنائهم في أحوالهم وأقوالهم وأعمالهم بلا افراط ولا تفريط لان الحالة الوسطى تكاد تكون معدومة وقد ضاعت الحياة فيها وفي النفس حاجات وفيك فطنة

«وعندي ان اصلاح شأن هذه الامة التي سهلت طباعها وزكت نفوسها ولان جانبها وسهل قيادها لا يأتي الا بحسن اختيار العاملين من أبنائها من أصغر عامل عمومي وهو الخفير الى أكبر موظف وهو الوزير، فما كل النفوس بصالحة للخدمة العامة التي تتطلب صفات خاصة تظهر في صاحبها من أول نشأته، فاذا صح انتقاء هؤلاء أصبحت مصر في زمن قليل فردوس الارض لان هذه الامة سريعة التقليد لحكامها». المراد

[المنار] لقد هدى هذا الكاتب الى ما يجب من العبرة في هذه السيرة الحسنة بعبارة تدل على انه عني بتهديب أخلاقه وتربية نفسه حتى ظن أن ذلك يسير على أكثر الناس المتعلمين. وهيئات هيئات، إنهم عن السمع لم يزولوا، وعن الحاجة الى تزكية النفس لغافلون، وهذا التعليم المعروف لا يزيدهم الا غفلة واعراضا عنها، وإن يكون ذلك الا بانقلاب يتغير به نظام التربية والتعليم ويكون أمرهما موكولا الى أصحاب الفضيلة والحكمة من الامة، وأين هم؟ وكيف السبيل الى تفويض الأمر اليهم؟ وأما اختيار أمثالهم لآعمال الحكومة فمن يقدر عليه ويعنى بتنفيذه، ههنا محل التأمل للمتأملين.

﴿التحول في ميادين الحرب وقرب أجل الصلح﴾

هجم الالمان في أول فصل الربيع من هذا العام على الجيوش الانكليزية في شمال الميدان الغربي هجوما لم يسبق له نظير كانوا يضربون به جميع خطوط القتال بمدافعهم في وقت واحد ويمطرون البلاد الواقعة وراء هذه الخطوط وابلا من مدافعهم الى مسافة ٢٨ ميلا وكان غرضهم الفصل بين الجيوش الانكليزية وبين الفرنسية والامريكية لتمكن من سحق الاولى والتفرغ بعدها للآخرى أو تخضع لطلب الصلح بلا شرط ولا قيد. وما كاد يتم لهم مبدأ ما يحاولونه حتى حدث في خطة

دول التحالف أعظم حادث انقذت الا جماع على وجوبه من قبل لولا ما عارضه من تقدم المانع على المقضي وهو توحيد القيادة لجميع جيوش دولهم، وبذلك تمكن الفرنسيين من وصل ما انقطع من التواصل ومزج الجيوش بعضها ببعض. ثم هجم الالمان هجوماً آخرين عظيمين بلغ من تقدمهم بهما أن قطعوا نهر المارن وصاروا على مقربة من باريس التي كانوا يضربونها كل يوم بمدافع بعيدة المدى. وكان الناس يتوقعون زحفهم عليها في الاسبوع الثاني من شهر شوال وهو الثالث من شهر يوليو (تموز) لان وزراء التحالف كانوا يصرحون بأن تفوق الالمان عليهم في العدد والعدد عظيم وأن الخطر لا يزول الا اذا اقتضى فصل الصيف وحالت أمطار الخريف دون استمرار شدة القتال وهم ثابتون مصابرون لعدوهم، فاذا تم ذلك لهم زال الخطر ودالت الدولة لهم بكثرة الجيوش الأمريكية التي ستكون في صيف السنة المقبلة مساوية لجميع الجيوش الألمانية. بينما ينتظر الناس ذلك اذا فاجأهم خبر شروع الالمان في التقهقر المنظم من جنوب المارن الى شماله ثم من جنوب الاين الى شماله وكان يظن أن ذلك لحظة حرجية يقبها هجوم أشد مما قبله، ولما استمر التقهقر ظن قوم أنهم يقصدون خط هندنبرج ليشثوا فيه كما فعلوا في العام الماضي، وأنهم في أثناء ذلك يجمعون جيشاً من الحكومات الروسية التي آذنت التحالف بالحرب، وظن آخرون أن سبب التقهقر اتفاق سري على الصلح، وقوى هذا الظن ما نقلته البرقيات عن طلعت باشا من أنه قال عقب اجتماع سياسي مع رجال الدولتين الجرمانيتين: إنه لم يبق لاستمرار الحرب فائدة وإن الصلح سيعقد قبل حلول فصل الشتاء من هذا العام. ثم ما زال الالمان يتقهقرون والاحلاف يتأثرونهم ويحتلون البلاد التي يغادرونها حتى آخر الشهر وقد ظهر في برلين وغيرها مبادي انقلاب سياسي ربما كان هو السبب الباطن للاروز والانكماش وأما الترك فكانوا يدافعون دفاع المستميت عن كل بقعة أخذها الروس من بلادهم التركية أو الانكليز من بلاد العرب في العراق وفلسطين حتى اذا جاء هذا الشهر فاجأتنا الانباء بأن الجيش الانكليزي في فلسطين شرع يزحف في الاغوار والانجاد، من تلك الارض الحصينة المطالية من الماء، فاستولى في ١٢ ذي الحجة (١٨ سبتمبر) على خطوط الترك الامامية في جلعلة والطيرة وطولكرم وفي ١٣ منه تقدم حتى بلغ العفولة

٤٤٦ التحول في مبادئ الحرب [المنار: ج ١٠ م ٢٠]

وفي ١٤ منه بلغ ييسان وجنين ونا بلس والسامرة وماجا ١٧٠ منه الا واحتلوا حيفا وبتعتا عكا
وفي ١٩ منه احتلوا طبرية وسمخ وعمان وبلغ عدد من أسروا من الجيش التركي أربعين ألفا
ولم نسمع في أثناء ذلك بمقاومة تؤثر، ولا بعدد من القتل يذكر، وازالوا يوغلون في ولايتي
سورية وبيروت شمالا من الجانب الغربي، ويحاذيهم جيش الأمير فيصل العربي من الجانب
الشرقي، حتى دخلوا دمشق في ٢٥ منه وكان الترك قد أجلاو عنها وتألفت فيها حكومة موقفة
ولا شك في أن الترك قد قرروا ترك سورية كلها لاهلها والانكماش الى بلادهم التركية
تمهيدا لطلب الصلح. واذا يتيسر الاتحاديون من ولاياتهم العربية فانهم يفضلون
ببعض لاعدائهم أو تركها لهم غنيمة باردة على ابقائهم لاهلها العرب كما معروف
عنهم، ولكن الامر لم يبق في أيديهم، فهم قد قتلوا أنفسهم وقطعوا أوصال سلطتهم
(امبراطوريتهم) بسيف العصبية الجنسية الذي سلوه على غير الترك من الاجناس
أما أخبار الصلح ومقدماته فأولها ان لنيسة نشرت في ثاني ذي الحجة مذكرة رسمية
في عاصمتها بينت فيها انها أرسلت الى الدول المتحاربة اقترحا تدعوم فيه الى ارسال
مندوبين من كل منهم الى بلد من البلاد التي على الحياد للمفاوضة السرية في أمر
الصلح وتمهيدا للسبيل الى الاتفاق الممكن في ذلك. وفي ٢١ منه علمنا أن الحكومة البلغارية
طلبت الصلح وعقد الهدنة وأن رئيس وزارة هذه الحكومة عرض الامر على معتمد الولايات
المتحدة فأشار عليه بوجوب قبول شروط الحلفاء للهدنة بدون بحث لانهم يريدون بالشدّة
فيها الأمان من كل خطر في المستقبل ولكنهم يراعون في شروط الصلح العدل والانصاف على
قواعد الجنسية وقبل نصحه. وروت البرقيات أيضا ان المعتمد نفسه سافر الى مركز قيادة
الحلفاء وحضر توقيع الهدنة وان الترك سيحذون حذو البلغار

ولم ينقض اليوم الاخير من ذي الحجة الا والبرقيات العامة تتلاقى في جواه
ارجاء العالم بأن الدولة الالمانية نفسها خاطبت الرئيس (ولسن) برغبتها ورغبة
طبيعتها النمسة والتركية في الصلح على الاصول والشروط التي وضعها هو. فسبحان
محول الاحوال، ونسأله أن يحول حالتنا الى أحسن حال

(تصحیح أخطأ) سقط جملة من التفسير موضعها أواخر السطر ٢٠ ص
٢٦١ من المجلد التاسع عشر فينبغي أن نكتب بإزاء موضعها من الحاشية وهذا نصها :

(وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَقْتَرُونَ) أي وغاب عنهم ما كانوا يختلفون في الدنيا من
تَوْنِ مَبْهُودَاتِهِمْ تَشْفَعُ لَهُمْ هَدَايَتُهُ، أَوْ ضَلَّتْ الْمَبْهُودَاتُ نَفْسَهَا عَنْهُمْ فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى
الشَّفَاعَةِ لَهُمْ سَبِيلًا. وَغَلَبَ مَا لَا يَمُوتُ مِنْهَا كَالْأَصْنَامِ فَعَبَّرَ عَنْهَا بِمَا لِلتَّقْيِيعِ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ
مَا كَانَ يَمُوتُ فِي هَامَةِ أَوْقَاتِهِ فَبَرَّهَا .

جملة « أَوْ نَفَعَ أَصَابَ حَيًّا دَعَا لَهُ » في س ٢١ ص ٣٣٢ م ٢٠ محلها قبل جملة
« أَوْ ضَرَّ أَصَابَ عَدُوًّا دَعَا عَلَيْهِ » في س ٢٢ بعده

صفحة	سطر	ذمأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٨	٢٥	عياي	الاعياي	٣٨٦	٢٢	خنة	أربعة
٢٤٢	٣٠	مافي	على مافي	»	٢٣	سماؤهم	أسماؤهم
٣٤٢	٢١	ليفسد	ليفسد فيها	»	٢٤	بشروادريس ولوط	بشروادريس
٣٦٦	٢	دون	حال دون	٣٨٢	١٧	مهندقا	مهندبا
٣٧٦	٦	الاحكام	من الاحكام	٣٩٠	٧	مخلف	مختلف
٣٧٩	٦	واذا	واذ	٣٩٤	٨	وأحمد والترمذي	والترمذي

خاتمة المجلد العشرين

بحمد الله نختتم المجلد العشرين من المنارة وله الحمد والشكر على نعمة التوفيق والثبات،
وقد جعلنا أجزاء هذا المجلد عشرة كالأجزاء المجلد الذي قبله، ولكننا اضطررنا إلى تصغير حجمها
من الجزء الخامس وما بعده، لأن الحرب اشتد غليان سعيها، وجميع الأشياء اشتد غلاء سعرها
وقد ذكرنا في أول خاتمة المجلد السابق أن ما كنا نشتره من الورق بمئة صار ماسمراً ٤٠٠ أو
٥٠٠ وقول في هذه الخاتمة أنه تضاعف بمثل ذلك إلى ١٠٠٠ بل إلى ١٦٠٠ السمر الأول
فقد علمناه بأنفسنا، وأما السمر الآخر فبما قتل البناء وقد غلت آثمان سائر الأشياء أيضاً حتى
الغذية لوطنية التي بيننا ومنها في الجزء الثامن قلنا العذر في تصغير حجم المنارة مع عدم الزيادة
في قيمة الاشتراك، وقد فعل مثل فعلنا أصحاب الجرائد والمجلات في جميع الآفاق
هذا وقد أخرجنا البدء بهذا الجزء الأخير إلى شهر ذي الحجة كما أخرجنا ما قبله
من أجزاءه^(١) وأجزاء ما قبله من سني الحرب فأدغمنا في سنيها الأربع سنة من سني المنارة
اذلم نصدر في هذه السنين الأربع إلا ثلاثة مجلدات، وبذلك انتهت مجلدات المنارة عدد

(١) قد صدر ما قبله في أواخر ذي القعدة كما علم من آخر خبر في الجزء التاسع

فيه الشمسية في الجملة ، وذلك ما توقعناه في خاتمة المجلد التاسع عشر من تأثير استمرار الحرب ، فقد صدر أول عدد من سنة المنار الأولى في ٢٢ شوال من سنة ١٣١٥ ووافق ذلك منتصف الشهر الأول من سنة ١٨٩٨ الميلادية . فعلى هذا يكون قد تم لنا المجلد العشرون في السنة العشرين الميلادية ولكن قبل تمامها والمرجوان يتم الصلح العام بين الأمم المتحاربة في العام الذي نستقبله ، وإن بقيسرتنا فيه أن نزيد في حجم المجلد الحادي والعشرين ، وإن كان لا يرحى أن يعود من الورق إلى ما كان عليه قبل الحرب إلا بعد سنين ، فإن عود الرخص إلى المصنوعات أنما يكون بالتدريج البطيء .

الانتقاد على المنار

ورد علينا في هذا العام ذلك الانتقاد الطويل على (ذكرى المولد النبوي) وقد نشرناه برمته في الجزء الثامن والرد عليه في التاسع والعاشر وبقي له بقية تنشر في السنة الجديدة وورد علينا انتقاد آخر لمسألة أبوي النبوي صلى الله عليه وآله وسلم وعمه أبي طالب التي ذكرت استطرادا في الكلام على أبي إبراهيم الخليل (ص) من هذا المجلد . فالناقد من يجهز مون بنجاة الأبوين الشريفين وأبي طالب خلافا لما روي في الصحيحين وغيرهما ، وكل ما ذكره في مسألة الأبوين قد تقدم في بحشاء ، وأما إيمان أبي طالب فانتقد علينا عدم ذكر ما ورد في إيمانه من الروايات الضعيفة ولم يكن الكلام في تريحه فتتوي كل ماجاء فيه ، وإنما كان في بيان حكمة ما ورد في كتاب الله وحديث رسوله الصحيح في معنى التصريح بكفر أبي إبراهيم (ص) وقد صرحنا بحظر اعتداء بيان النصوص وحكمها وأحكامها في ذلك إلى ما بعد إيداء الرسول (ص) أو لاحد من أهل البيت الذين من ذريتهم ، وإن أقوى ما يستدل به على نجاة الأبوين الشريفين في الآخرة وأرجاه هو ما ورد في امتحان الله تعالى لآمل الفترة في الآخرة ونجاة بعضهم به ، ومن أجدر منهما بذلك ؟ وتتمنى أن نجد أدلة أقوى من هذا ، فإن وجدنا شيئا نشرناه مغبوطين ، والا سكتنا مؤمنين مفوضين ، ولا نرتاح إلى الرد على المنكرين ، فحسبنا بيان ما ظهر لنا أنه الحق المبين ، وهو خلاف ما نهوى فمنا نحن للهوى بمتبعين ، (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ فهرس عام لجميع المواد التي وردت في المجلد العشرين ﴾

ما وضع بين قوسين فهو عنوان في الاصل

صفحة	صفحة	1
الامان . كسرهم للروس والرومان ١٢٨ دعوتهم للصلح ٢٤٦	الاحاديث في التصوير والصور ٢٢١ أحاديث الحج (في مظانها)	آباء النبي (ص) مسألة إيمانهم ٢٥٤ آثار الانبياء ، زيارتها ٣٥٣ الأخوة . النجدة فيها بالانان والعمال دون القديسة والشفاعه ١٨٦ و ٢٦١ و ٣٣١ آدم . دليل نبوته ورسالته ٣٨٧ آزر . اسمه وكفره ٢٥٢ و ٢٦٠ آلهة السكديين وثالوثهم ٣٠١ آل البيت . الصلاة عليهم ٣٩٦ بمدهم عن الرياسة والحرب ٤٠٢ مؤدبهم وموالاتهم ٣٩٤ آل ياسر . أصلهم وتبذيرهم ٤٠٠
أمريكة والحرب ٤٨ و ٤٩ أم القرى . اطلاقه علي مكة ٤٢٠ الامم . حريتها ٤٨ و ٦٠ الامة الاسلامية (راجع المسلمون)	(الاحرام بالحلم وشدة الرجال الى عرفات) ١٥٦ أحد صفوت . دعوته الى ابطال أصول التبرية ٤٠٥	آل ياسر . أصلهم وتبذيرهم ٤٠٠
» تشيل قصصهم ٣١٢	الارمن ٤٩ و ٥١ الازهر . شيخه الجديد ١٦٥ الاسباب ١٣٠ و ٣٣٢ الاستاذ الامام مابذه بالمعاص ٤١٣ استقلال الشعوب وأقوال الدول فيه ٤٨ — ٩٠ و ١٩٩ و ٢٤٦ (استقلال البانية) ٥٨ استهواء الشياطين ٢١١ (الاسرائيلون وفلسطين) ٢٠٥ الاسرائيليات ٢٥٢ الاسلام والسك ٣٨٦ و ٤٢٩ » املاحه وأحكام الرق ٢٠ » وعصية الجلس ٤١	الى وادي مكة ١٢٤ » استجابة دعائه لمكة ١٢٦
الانصار . نصرهم وفضاهم ٤٢٣ الانكيز . حريم السياسية ٢٠٢ اردهم على اقتراح ولسن للصلح ١٩٩ غرضهم من الحرب وتأويلهم للضم وهدمه ٥٠ و ٥٥ ومسألة سورية وفلسطين ٥١ و ٢٠٥ أهل السنة من هم ٢٦٨	» بصره ٢٧٥	— ٢٦٦ و ٢٨٩ و ٣٠٦ — إبسال كسب الانسان له ١٨٥ أبوطالب . موته والشفاعه له ٢٦٥ و ٢٥٩ الاتحاديون ٣٥ و ٤٠ و ٤٥ و ١٦٦ و ٢٨٤ و ٤٤٥ الاجام . وفض الشفيعين له ٤٣٢
(أليم في وليالها) ٣١٦ الايام المدودات والمطومات ٣١٦ ابطالية . غايتها من الحرب ٥٧ وحاية ألبانية ٥٨ تفسير وزيرها لاستقلال الشعوب ٢٤٧ الايان بالربل اجالا وقصيلا ٣٨٥	الاصلاح الاسلامي وادعياؤه ٤٠٤ و ٣٤٠ (اقتراح نظام في الاسلاخ الاسلامي) ١٢٧	
ب-ت		
البابا . دعوته الى الصلح ورد		

فهرس المجلد العشرين

3

صفحة	حديث	صفحة	الدول عليها
٤٢٥	» اني اعطي رجلا حديثي عهد بكفر	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	بصرة بين جند ومكة ١١٢ و ٣٦٢
٢١٥	» خرافة	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	البدع. استحسانها ونوعاها ووسيلة
٠٨٣	» خلق الله آدم على صورته	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٤٠٠	» خياركم في الجاهلية	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
١٨١	» رفع عن أمي الخطأ	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٣٨٧	» الشفاعة	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٢٦	» حق النبي عن نفسه	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٤٢٥	» لا يجتمع أمي على ضلالة	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٤٠٠	» موت أبي طالب	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٤٠٠	» الناس تبع لقريش	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٤٢٣	» بامشير الانصار	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
١٢٨	» الحرب . أهم أحداثها	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٤٤٤	» . التحول فيها	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٤٨	» غابيتها واغراضهم منها	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٣٦٤	» مصائبها	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٢٤٦، ١٩٩	(الحرب والصلح)	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٤٣٧	(حسن جلال باشا) ترجمته	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
١٨٨	(حكم تارك الصلاة)	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٤٢٦	» ارم فداك أبي دمي	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٣٨٨	» اعطيت خسا	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٤٢٥	» ألا ترضون	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣
٣٩٩	» ان الله اكرم امي بالاولوية	١٠٣ و ٢٩٥، ٣٢	إبطالها ٢٥٥-٣٢، ٢٩٥، ٣٢ و ١٠٣

فهرس المجلد العشرين

صفحة	٣٥٢	صفحة
(حكمة تحريم الدم المسفوح) ١٤٥	الرحمة. كتابة الله إياها على نفسه ١٢ (رد النار على النار. الذكرى المولد) ٣٩٥ و ٤٢١	حكمه مشروعية الحرب ٤٠٣
حكمه مناسك الحج (راجع الحج) (الحكومة العربية الجديدة ٢٧٨) الحلفاء. واستقلال الأمم ٤٨-٦٠ وغايتهم من الحرب ١٩٩٥ الحنيف والحنيفية ٣١٦	الرسول. الايمان بهم اجمالا وخصيلا ٣١٥ الرفيق لا يمشي والاسود ١٩ رواية. ثور. اوت. اعرض القيامة وفيها لافيم وآله وانكسارها و الحرب ١٢٨ اقتراحها حرية الشموب وعبد الفهم والة ٤٨٠ ٢٠٦	خاتمة العهد المشركين ٤٤٧ «خطبتنا السياسية» يعني ١٨٢ خالد النقشبندى (الشيخ) ٣٦١ خلق المرأة (كتاب) ٣٦٧ الحلافة ومبايعة الشريف بها ٢٨١
الديانة المسيحية ١١١	الزكاة. تخصيصها بالانقياء ١٠٧ زمنه. سب تقجرها ١٢٥ الزهد. منافاه ومضاره ١٠٩ الزواوي «راجع عبد يوسف» زنب «السيدة» قبرها ١٦٤	الذكرور. وصف حجاجهم ١١١ الدم المسفوح ١٤٥ الدولة العثمانية والمرب ٤٤
ذبايح النفسك ٢٧٧	السؤال (الشحافة) ٣٥٩ السكر البهوني في البحر ٣٦٣ سلطان مسقط. ضيافته لنا ١١٧	ذكرى المولد الذوي. نقد ٣٤٥ رد ٤٢١ و ٣٩٥ الذكورة والانوثة. سنة الله
ذبايح النفسك ٢٧٧	سلم البشري. ترجمته ١٦٠ و ٢٨٨ «في الماندين للرسول وفي المتفرقين في دينهم ١٣٦ «السنة الراسية للمرب» ١٢٨ سورية. حلاء الترك عنها ٤٤٥ «مستقبلها» ٥١ و ٢٠٥ السيوطي. رسائله في الابوين الشريطين ٢٦٠	رأية الفضي ص ٣٩٧ «رحلة الحجاج» ١٠٨-١٥٠ ١٩٢ و ٢٣١ و ٢٢٦ و ٣١٦
رأية الفضي ص ٣٩٧	«السنة الراسية للمرب» ١٢٨ سورية. حلاء الترك عنها ٤٤٥ «مستقبلها» ٥١ و ٢٠٥ السيوطي. رسائله في الابوين الشريطين ٢٦٠	«رأية الفضي ص ٣٩٧» «رحلة الحجاج» ١٠٨-١٥٠ ١٩٢ و ٢٣١ و ٢٢٦ و ٣١٦

فهرس المجلد العشرين

صحة	(العلم في رئيس وزراء الانكبا)
٢٢	٢٠٤
الموام والخواص	الطوائف والسم ١٢١٩١٨
٤٨	
» تربيته ملكة اللاع ١٤٦	
» غاية الحلفاء من الحرب ٥٣	
٣٦٤	
» دلاله الآثار على صدقه ٣٤٠	
٤٤٦	
الفواست الألمانية وحواسها ٣٦٤	
	ع-غ
	المبايون. التنويه بمجده ١٩٦
ف-ق	
٩٧	عبدالله الزواوي بك ١١٧
» فسخ الكاح بال ٩٧	عبد المطلب. أولاده ٤٢١
٥٣, ٤٨	(عبر التاريخ - ماقيا في تنع
٥٩	لانكبا بنفاد ١٩٦ و ٢٠٦
قريش. معاد انهم للنبي والتعصب لهم ٣٩٩ و ٣٤٦	
القياس. رفض المتفرجين له ٤٣١	
ك-ل	
٢٣٤	العرب والاستقلال ٦٠٥١
» قاعدة اصلاح قانون الاحوال الشخصية ٤٠٤	٢٨٦٦ ١٩٨٩
٦١	العرب. حضارتهم و غداد ١٦٦
القبور. تهطيمها وعبادتها ٠٦١	» تكوين الترك لمصيتهم ٤٣
٢٧٢٦٣٣٥٦٢٣٠٩	» ضعفهم في ائتهم ١٤٨
	» علاقتهم بالترك ٤٤ ٦٠٩
الكمة تأنيه ١٢٩١٥ دخولها والصلاة فيها ٣٥٤ مفتاحها و حاجاتها ١٥٢	» والمصبة الحذنية ونورة الحجاز
	» راجع المسألة المرية
» استفادة بلاغته وهداياته بالنبة ١٤٩	» هرفات صفة الرقوف فيها ٢٣٥
٤٣٠ - ب ٤١٨ نوعه ١٩٠	» صفتها وخرائطها ١٩٦
١٤٣	» عرفات وحدودها ١٩٢
الكلاب. امتناع الملائكة من دخول حيث هي وامت الاطفال بها ٢٣٥ و ٢٢٤	المقاب رابة قريش ٣٩٧
» استفاضة بالهطف على الهدوف ١٥	
	العلم الاستقلالي. علاج للكفر والتفرنج ٤٣٦

اللفظ . طريق تحصيلها ١٤٧		
الماء . في السفر ١٠٨ و ٣٦٣		
« الميت بمزدلفة النحر » ٢٤٢		
« المتفرجون والاصلاح الاسلامي »		
٣٤٠ و ٤٠٤ و ٤٢٩		
« المتكلمون » آراؤهم في حجة		
ابراهيم ٢٩٥ و ٣٠٦		
« المجلة السلفية » ٢٠٨		
« الجمع النفوي المصري » ٦١		
محمد أبو الفضل شيخ الازهر ١٩٦		
محمد نجيب رفيقنا في الحجاز ٣٩١		
المزدلفة ١٩٣ و ٢٤٢		
« المساجد على القبور » راجع القبور		
« مسألة استقلال الصوم » ٤٨		
« المسألة العربية » وفيها بحث		
الجنسية والاسلام والخلاف بين		
العرب والترك والمانع من تأسيس		
دولة عربية والجميات العربية		
واستقلال الحجاز ٣٣		
« المسلمون اتباعهم سنن من قبلهم		
لنصوص		
٣٩٧	دعوة قريش	٣٩٧
١٣٩	التصوص والحكم . اختلاف	١٣٩
٣٥٢	الانهاض فيها	٣٥٢
٣٤٥	النز من في	٣٤٥
٩٨	« نقد ذكرى المولد النبوي »	٩٨
١٤٩	« الكساح . فسحه بالميب والداة »	١٤٩
١١٣	« النية . الاستفادة بحسبها »	١١٣
٤٠٨	« الهديل . امامتهم »	٤٠٨
٢٩٦	« (الهاء آل رضا) »	٢٩٦
٤٢٤	« اعطاه فنانم حنين للمكين »	٤٢٤
٤٢٢	« دون الانصار »	٤٢٢
٢٨	« ايداه قومه له »	٢٨
٢٨	« تعظيمه بالابتداء »	٢٨
٢٩٦	« نبينا . الادب مم قراته »	٢٩٦
٣٤٤	« شكواهم من التفرنجيز »	٣٤٤
٣٤٩	« ضمنهم منذ ارتقاء الفرنج »	٣٤٩
٣٥	« مصلحتهم في دولة عربية »	٣٥